طرق شرح الحديث النبوي

أدوات شرح المتن وآلياته

إعداد الباحث

علي أحمد خليل أحمد

كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة القاهرة

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

طرق شرح الحديث النبوي – أدوات شرح المتن وآلياته

علي أحمد خليل أحمد

كلية : الآداب، قسم: اللغة العربية، جامعة : القاهرة، مدينة : القاهرة، مصر.

البريد الإلكتروني: alikhalil15867@gmail.com

ملخص البحث:

يبرز هذا البحث (أدوات وآليات شرح الحديث النبوي) مدى عناية علماء الحديث بمتن الحديث من شرح وتفسير واستنباط ما به من أحكام فقهية، وفيه رد على من يدعي اهتمام العلماء بالسند دون المتن، فلقد حاز متن الحديث النبوي عند شراحه عناية كبيرة؛ ولذلك تنوعت أدواتهم وآلياتهم في شرح الأحاديث النبوية؛ بغية الكشف عن معانيه، واستنباط أحكامه الفقهية، للوصول إلى مراد الرسول – صلى الله عليه وسلم – في قوله، والعمل بما جاء فيه. كان في القمة منها الوحي، فمن أفضل طرق تفسير الوحي الوحي نفسه، عن طريق الاستعانة بآيات القرآن الكريم في شرح ألفاظ الأحاديث، وبيان فقه الحديث، وتعضيد لغته. ومن الأدوات التي استعان بها شراح الحديث النبوي السيرة النبوية، فالسيرة النبوية أداة فاعلة في شرح الحديث النبوي ففيها التفصيل والتوضيح. وكذلك شرح الحديث بأقوال الصحابة والتابعين، فالصحابي راوي الحديث أدرى بمقاصده من غيره؛ ولأن الصحابة عاينوا نزول الوحي وعرفوا القرائن، وصحبوا النبي – صلى الله عليه وسلم– في حله وترحاله، وكذلك تفسير التابعين الذين تلقوا العلم على يد الصحابة. وذكر قصة الحديث تعين على فهمه، فهناك أحاديث لها سبب ومناسبة معينة قيلت فيها، إذا عُرفت فُهم الحديث وبان فقهه. واللغة العربية وعلومها مفتاح من مفاتيح فهم الحديث النبوي، هذه الأداة الكبرى تعمل وفق آليات: منها التوجيه النحوي، والصرفي، والبلاغي. ومن الأدوات الفاعلة في شرح الحديث النبوي شعر العرب، فهو ديوان العرب الحاوي لألفاظهم المبين للهجاتهم، به قيدوا المعاني والألفاظ الشاردة، فإذا أحوجوا إلى معرفة معنى لفظ التمسوه في الشعر المتفق عليه المرضي بحكمه المجتمع على صحة معانيه. وكذلك الاستعانة بأقوال العلماء، وتاريخ الدعوة الإسلامية والأقوال المشهورة على ألسنة الناس، في الكشف عن المعاني الإجمالية للأحاديث النبوية.

الكلمات المفتاحية:الحديث– الأدوات– الآليات– الشرح– المتن– السيرة النبوية– التاريخ.

Tools and mechanisms for explaining the Hadith of the Prophet

Ali Ahmed Khalil Ahmed.(PBUH)
Faculty / Arts University / Cairo City / Cairo State / Egypt
E-mail:alikhalil15867@gmail.com

Abstract:

This research (tools and mechanisms for explaining the Hadith of the Prophet) highlights the extent to which Hadith scholars pay attention to the content of the hadith from explaining, interpreting and deducing its Fiqh rulings, and in it is a response to those who claim that scholars are interested in the Sind without the content, the body of the Hadith of the Prophet received great attention when explaining it; therefore, their tools and mechanisms varied in explaining the Hadith of the prophet in order to reveal its meanings, and derive its Fiqh rulings, to reach what the Prophet – peace and blessings of Allah be upon him - said, and working with what it says was at the top of Revelation, one of the best ways interpretation of the revelation by the revelation itself, by using the verses of the Holy Qur'an to explain the words of the Hadiths, and the statement of Hadith jurisprudence. Strengthening his language

One of the tools used by the commentators of the Hadeeth of the prophet is the Prophet's biography, as the Prophet's biography is an effective tool in explaining .the Hadeeth of the prophet in detail and clarification

The Hadeeth is also explained by the sayings of The Companions and the followers, because the companions witnessed the revelation and knew the clues, and accompanied the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) in solving it and traveling, as well as the interpretation of the followers who .received knowledge at the hands of The Companions

There are hadiths that have a reason and a certain occasion in which it was said, .If you know, the understanding of the Hadeeth and its jurisprudence appeared

The Arabic language and its Sciences are one of the keys to understanding the Hadith of the Prophet, this great tool works according to mechanisms: including .grammatical, morphological, and rhetorical guidance

One of the effective tools in explaining the Hadeeth of the prophet is the poetry of the Arabs, it is the divan of the Arabs containing their words, indicating their dialects, by which they restrict the meanings and stray words, so if they need to know the meaning of the word seek it in the agreed-upon poetry that is .satisfactory in its wisdom, the consensus is on the validity of its meanings

As well as using the sayings of scholars, the history of the Islamic call and famous sayings on the tongues of people, in revealing the overall meanings of .the hadiths of the Prophet

:Key words
Hadith-tools-mechanisms - explanation - Maten – prophetic biography of the .Prophet -history

المقدمة

اجتهد شراح الحديث النبوي وبذلوا غاية الجهد والوسع في شرح الأحاديث النبويات، من شرح ألفاظه وجمله واستنباط أحكامه الفقهية والأدبية، وأطالوا النفس في ذلك، كل على حسب ثقافته وعلمه، وفي سبيل ذلك استعانوا بأدوات تعمل وفق آليات محددة، وقد تنوعت أدواتهم ما بين حديثية ولغويه وغير ذلك.

واختيار الشارح لهذه الأدوات الإجرائية تنبني على مفاهيم معرفية، والتي تعود بالضرورة إلى أبعاد فكرية وعقائدية، وقد تفاوت الشراح في استعمال تلك الأدوات، فمنهم من تميّز في أداة دون غيرها.

وفي تنوع تلك الأدوات وتعددها رد واضح على الزعم الشائع لدى الكثيرين من أن سند الحديث نال اهتمام علماء الحديث دون متنه.

أهمية الموضوع:

تتحدد القيمة الحقيقية لأية دراسة علمية في أمرين أساسيين: الثغرة، أو الثغرات، التي تسدها في محيط الدراسات التي ينتمي موضوعها إليها، نوع الأسئلة التي تجيب عنها، أو الموقف المشكل الذي تتصدى لمعالجته، هذا البحث يلقي الضوء على أدوات وأليات شرح متن الحديث النبوي وما استعان به شراح الحديث النبوي من علوم، بغية الوصول إلى مراد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– من قوله.

وفيه الرد على الزعم السائد لدى الكثيرين أن العلماء تركز اهتمامهم على السند دون المتن، هذا البحث يبطل هذا الزعم، فقد وضح مدى اهتمامهم بالمتن من شرح وتوضيح، تجلى في الاستعانة بالكثير من الأدوات اللغوية والحديثية وغيرهما؛ بغية الوصول إلى مراد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– من قوله ، والوصول إلى فقه الحديث، وتحقيق الثمرة المرجوة وهي العمل بما جاء في الحديث الشريف.

تمهيد:

حاز متن الحديث النبوي عناية واضحة عند شراحه، وقد تنوعت أدوات الشرح وآلياته عندهم؛ بغية الوصول إلى مراد الرسول – صلى الله عليه وسلم– في قوله، والوصول لفقه الحديث، واستنباط ما به من أحكام وفوائد، هذه الأدوات الإجرائية تتبني على مفاهيم معرفية، والتي تعود بالضرورة إلى أبعاد فكرية وعقائدية، هذه الأدوات تعمل وفق آليات معينة، لتحقيق الهدف من الشرح.

ويقوم شرح الحديث النبوي على قاعدتين أساسيتين هما: الشرح بـ (المأثور) و(الرأي المحمود)، والمأثور هو بيان معاني الأحاديث بما جاء في القرآن الكريم أو السنة النبوية نفسها أو أقوال الصحابة والتابعين، والمعقول (النظر والعقل) الذي يعتمد علي جهود العلماء السابقين، بالإضافة إلى فهم الشارح الخاص ونظرته الذاتية النابعة من ثقافته، والتي تظهر في استنباطاته، وترجيحاته.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن أدوات شرح متن الحديث النبوي وآلياته، ومدى اهتمام الشراح وعنايتهم بشرح المتن، وأثر الصناعة الحديثية في شرح المتن، وأثر ثقافة الشارح في اختياره لأدواته.

مشكلة البحث:

كان السائد لدي الكثيرين أن علماء الحديث اهتموا بالسند دون المتن، وأن جهدهم انصرف إلى العناية بالسند من توثيق الرواة، والحكم على الأسانيد، ويحاول البحث الكشف عن موقف شراح الحديث النبوي من المتن، ومدى اهتمامهم بشرحه، وما استعانوا به من أدوات وآليات، ومدى نجاحهم في استخدامها.

[١] شرح الحديث بالقرآن:

من الأدوات التي استعان بها الشراح في شرح الحديث النبوي القرآن الكريم، عن طريق شرح ألفاظه، ومتنه، والاحتجاج في مسائل الفقه، والعقيدة، والمسائل

المختلفة.

وسوف يستعين البحث بالشواهد من أربعة شروح للجامع الصحيح؛ لفضلها وقيمتها وشمولها[١]، وإن كان جُلها من الرابع؛ لأنه جمع أقوال الثلاثة قبله [٢]. ثلاثة منها قديمة وهي: فتح الباري لابن حجر العسقلاني[٣]،عمدة القاري للبدر العيني[٤]، إرشاد الساري للقسطلاني[٥]. والرابع حديث: كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري لمحمد الخضر الشنقيطي[٦].

(أ) شرح المفردات.

ومن ذلك: حديث: (عائشة) – رضي الله عنها– أنها قالت: فقالت (خديجة): " وتحمل الكَلّ "[٧] قال الشنقيطي: "الكَلّ– بفتح الكاف، وتشديد اللام– هو الذي لا يستقل بأمره،[٨] قال الله تعالى: "وهو كَلّ على مولاه"[٩].

١– الجامع الصحيح – دار الاعتصام– القاهرة ٢٠١١م

٢– قال الشنقيطي: " وأتيت في تقدي ألفاظ المتن بعبارات مختصرة ملتقطا لها غالبا من فتح الباري من " فتح الباري" ، وطورا من " عمدة القاري" ، و" إرشاد الساري" محتوية على زبدة ما في الكتب الثلاثة". كوثر المعاني ١/ ١١٥.

٣– ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ – صاحب أعظم وأجل شرح للجامع الصحيح.

٤– البدر العيني ت ٨٥٥ هـ – تميز شرحه في الاهتمام بالنحو والإعراب والبلاغة.

٥– القسطلاني ت ٩٢٣هـ – تميز شرحه بجمع روايات الحديث .

٦– محمد الخضر الشنقيطي ت ١٣٥٣هـ مفتي المالكية بالمدينة المنورة– تميز هذا الشرح بالاهتمام بفقه الحديث.

٧– كتاب (بدء الوحي) ، باب (كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم) حديث رقم ٣ ص ٩.

٨– الكوثر ١ /٢٣٧

٩– النحل ٧٦

ومن ذلك: حديث (أبي هريرة) – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " ثلاثة لم يبلغوا الحِنْثَ"[١].

وقوله:" لم يبلغوا الحِنث "، قال الشنقيطي: " والحنث الذنب.[٢] قال تعالى: " وكانوا يصرون على الحنث العظيم " [٣]

ومن ذلك: حديث(أبي هريرة)– رضي الله عنه– قال : " كان النبيّ – صلى الله عليه وسلم – بارزا يومًا للناس ... " [٤].

قوله " بارزًا يومًا للناس " قال الشنقيطي: " أي : ظاهرًا لهم غير محتجب عنهم ولا متلبس بغيره، والبروز الظهور[٥]، قال تعالى:" وترى الأرض بارزة "[٦] أي: ظاهرة، ليس لها مستظل ولا متقيً[٧] .

(ب) بيان فقه الحديث.

ومن ذلك: حديث (ابن عباس) قال: " مر النبيّ – صلى الله عليه وسلم – بحائط[٨] من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، ..."[٩].

١- كتاب (العلم)، باب (هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم) حديث رقم١٠٢– ص ٣٨.

٢- الكوثر ٣/ ٤٠٠.

٣- الواقعة ٤٦.

٤- كتاب (الإيمان) ، باب (سؤال جبريل النبيّ – صلى الله عليه وسلم – عن الإيمان والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة وبيان النبيّ – صلى الله عليه وسلم – له – حديث رقم ٥٠ – ص ٢٤ .

٥- الكوثر ٢/ ٣٣٦

٦- الكهف ٤٧.

٧- الكوثر ٢ / ٣٣٦ .

٨- مقبرة .

٩- كتاب (الوضوء) ، باب (من الكبائر أن لا يستتر من بوله) – حديث رقم ٢١٦– ص ٦١ .

عند الحديث عن فقه الحديث وثواب قراءة القرآن والدعاء للموتى، قال الشنقيطي:" وأما الدعاء فالإجماع على أنه ينفعهم ويصلهم ثوابه[١]، لقوله تعالى:" والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان "[٢]

ومن ذلك: حديث (أبي سفيان) رضي الله عنه – قال : قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم: " سلامٌ على من اتبع الهدى ، ... " [٣] .

وقوله: " سلام على من اتبع الهدى". قال الشنقيطي: " وهذا كقول (موسى) و (هارون) لـ (فرعون) " والسلام على من اتبع الهدى" [٤] والظاهر أنه من جملة ما أمر به، أي: يقولاه، وليس فيه ابتداء الكافر بالسلام، لأن معناه سلم من عذاب الله من أسلم، وهو لم يسلم، فليس ممن اتّبع الهدى، فاللفظ ليس مرادًا به التحية إلا على من اتّبع الهُدى، فهو خارج منه " [٥] .

ومن ذلك: حديث (أبي هريرة) : " إني سابببت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبيّ – صلى الله عليه وسلم – : " يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ... " [٦] قال الشنقيطي: " وأن التفاضل الحقيقي بين المسلمين إنما هو في التقوى فلا يُفيد الشريف النسب نسبه إذا لم يكن من أهل التقوى، ويستفيد الوضيع بالتقوى، قال تعالى: " إن أكرمكم عند الله اتقاكم. " [٧] [٨].

١– الكوثر ١٤٥/٥

٢– الحشر ١٠.

٣– كتاب (بدء الوحي) ، باب (كيف كان بدء الوحي) – حديث رقم ٧– ص ١١.

٤– طه ٤٧

٥– الكوثر ١ /٣٤٢ .

٦– كتاب (الإيمان) ، باب (المعاصي من أمر الجاهلية) – حديث رقم ٣٠– ص ١٩.

٧– الحجرات ١٣.

٨– الكوثر ٢ / ١٢٠.

(ج) تعضيد لغة الحديث.

الاحتجاج بآيات القرآن في علوم اللغة؛ لمعاضدة لغة الحديث الشريف، فالقرآن في الذروة من الفصاحة، والقمة من البلاغة، وعلوم اللغة نشأت في كنفه ودارت في فلكه .

ومن ذلك: حديث (أبي بكرة) رضي الله عنه – قال: قال النبي– صلى الله عليه وسلم–: " ... أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى، قال :" فأي شهر هذا؟ "[١] .

وقوله: " أليس يوم النحر" قال الشنقيطي: " الاستفهام فيه، وفيما بعده، للتقرير، كما في قوله تعالى " أليس الله بكاف عبده " [٢] [٣] .

ومن ذلك: حديث (عبد الله بن عمرو)– رضي الله عنه– قال : قال النبيّ – صلى الله عليه وسلم– " ويلٌ للأعقاب من النار " [٤]. وقوله : " ويلٌ للأعقاب من النار" قال الشنقيطي: " ويلٌ وهو مبتدأ، وَسَوَغ الابتداء به مع كونه نكرة كوْنُه دعاء، كقوله تعالى: " سلام عليكم طبتم "[٥] ولام الجر في " للأعقاب " وإن كانت في الأصل للاختصاص النافع، و(على) (للشر) نحو " لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت" [٦]، لكنها استعملت هنا للاختصاص الضار، كما في قوله: " وإن أسأتم فلها "[٧] وقوله "ولهم عذاب أليم" [٨]، وقوله: "من النار"، من بيانية على حد قوله:

١– كتاب (العلم) ، باب (قول النبي– صلى الله عليه وسلم : " رب مبلغ أوعى من سامع " – حديث رقم ٦٧– ص ٣٠ .

٢– الزمر ٣٦

٣– الكوثر ٣ / ١٣٧ .

٤– كتاب (العلم) ، باب (من رفع صوته بالعلم) – حديث رقم ٦٠– ص ٢٧.

٥– الزمر ٧٣

٦– البقرة ٢٨٦

٧– الإسراء ٧

٨– المائدة ٣٦

" فاجتنبوا الرجس من الأوثان " [1]، أو بمعنى (في) نحو قوله: " من يوم الجمعة"[2]،[3] .

ومن ذلك: حديث (عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " فشربت حتى إني لأرى الريّ يخرج في أظفاري " [4] وقوله: " في أظفاري " قال الشنقيطي: " في رواية (ابن عساكر) (من أظفاري) وهي أبلغ، وفي التعبير (من أطرافي) وهو بمعناه، ويجوز أن تكون (في) بمعنى (على) أي: على أظفاري كقوله تعالى: " وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ " [5]. أي: عليها. ويكون بمعنى يظهر عليها، والظفْر إما منشأ الخروج أو ظرفه " [6]

[٢] شرح الحديث بالحديث:

شرح الحديث بالحديث منهج مشهور عند علماء الحديث، فالسنة تشرح بعضها البعض. فما أجمل في حديث بُسط في آخر، وما كان عاما خصص، وما دقّ فُسر، وما أطلق قيد.

وهذه هي أعلى وأفضل طرق شرح الحديث النبوي، وأسلمها من الوقوع في الخطأ، ويتم ذلك بجمع طرق الحديث أو الاستعانة بحديث آخر، فما أجمل واختصر في رواية فسر وبسط في أخرى، ومحاولة فهم الفرق بين الروايات المختلفة، فإذا اجتمعت طرق الحديث فسر بعضه بعضا.

١- الحج ٣٠.

٢- الجمعة ٩.

٣- الكوثر ٢٢/٣.

٤- كتاب (العلم)، باب (فضل العلم) – حديث رقم ٨٢- ص ٣٣.

٥- طه: ٧١.

٦- الكوثر: ٢٧٦/٣.

(أ) جمع روايات الحديث:

ومن فوائد جمع روايات الحديث تفسير الألفاظ الغريبة، والوقوف على سبب الحديث وقصته، والكشف عن مبهمات المتن، وتوضيح ما أجمل، والترجيح بين المعاني المشتملة عليها الرواية، والوقوف على الجزم في حال الرواية على الشك، والترجيح في حال التردد بين الراوي وروايته، ومعرفة العلل الخفية التي تظهر بجمع طرق الحديث، ومعرفة نوع الرواية، والكشف عن الفوائد المستفادة من الحديث؛ لأن طرق الحديث يفسّر بعضها بعضًا.

قال (يحي بن معين): " لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجها ما عقلناه " [١].

قال الإمام (أحمد): " الحديث إذا لم تُجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضا"[٢]. وقال (علي بن المديني): " الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه"[٣].

من ذلك: حديث(أنس)– رضي الله عنه– قال:" أن النبي – صلى الله عليه وسلم– وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين"[٤].

قال البدر العيني: " ولحديث أنس طرق أخرى دون ما أخرجه أصحاب الصحاح في الصحة، وكل ألفاظه ترجع إلى معنى واحد يصدق بعضه بعضا وهي سبعة ألفاظ. الأول: كانوا لا يستفتحون القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم. الثاني: فلم أسمع أحدًا منهم يقول أو يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم. الثالث: فلم يكونوا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم. الرابع: فلم أسمع أحدا منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم.

١– الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع – للخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ – ٢١٢/٢ .

٢– الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع – الخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ – ٢ / ٢١٢ .

٣– المصدر نفسه نفس الصفحة.

٤– كتاب (الأذان) ، باب (ما يقول بعد التكبير) حديث رقم ٧٤٣ – ص ١٦٠.

الخامس: فكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم. السادس: فكانوا يسرون ببسم الله الرحمن الرحيم. السابع: فكانوا يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين. – ذكر البدر العيني سبعة طرق للحديث ... [١].

ومن ذلك: حديث (السيدة عائشة) رضي الله عنها – عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – قال : " كُلّ شَرابٍ أسْكر فَهو حَرَامٌ " [٢] .

قال (الخطابيّ):" فيه دليل على أن قليل المسكر وكثيره حرام من أي نوع كان."[٣]

قال الشنقيطي:" ما ذكره استنباطًا وقع التصريح به في بعض طرق الحديث، فعند (أبي داود) و (النسائي) وصححه (ابن حبان)، عن (جابر) قال:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – : " ما أسكر كثيرُه فقليلُه حرام " . و(للنسائي) عن (عمرو بن شعيب)، عن أبيه، عن جده مثله. وسنده إلى (عمرو) صحيح. ولـ (أبي داود) عن (عائشة) مرفوعًا: " كل مسكرٍ حرام، وما أسكر منه الفَرْقُ فملء الكف منه حرام ". ولـ (ابن حِبّان) و(الطحاوي) عن (سعد بن أبي وقّاص) عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – قال :" أنهاكُم عن قليل ما أسكر كثيره". وقد اعترف (الطحاوي) بصحة هذه الأحاديث"[٤].

ومن ذلك: حديث (أبي هريرة) قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي ومن رآني في المنام فقد رآني، ..."[٥].

١– العمدة ٥/ ٤١٣.

٢– كتاب (الوضوء) ، باب (لا يجوز الوضوء بالنبيذ ولا المسكر) حديث رقم ٢٤٢ .

٣– أعلام الحديث – للخطابي ٢٩٢/١.

٤– الكوثر ٥ / ٣٠٢ .

٥– كتاب (العلم) ، باب (ثم من كذب على النبي – صلى الله عليه وسلم)– حديث رقم ١١٠ – ص ٣٩.

عند شرح قوله: " فقد رآني "قال الشنقيطي:" في رواية " فقد رأى الحق "، وفي رواية" فسيراني في اليقظة"، وفي رواية " فكأنما رآني في اليقظة "، وفي رواية " فقد رآني في اليقظة"(١).

(ب) الاستعانة بحديث آخر.

من آليات شرح الحديث بالحديث الاستعانة بحديث آخر في نفس معنى الحديث.

ومن ذلك: حديث (عائشة) – رضي الله عنها – عن النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه قال : " إذا وُضِعَ العَشَاء وأُقيمت الصلاة فابدأوا بالعَشَاءِ "(٢) .

وقوله : " وأُقيمت الصلاة ". قال الشنقيطي:" ينبغي أن تحمل على المغرب، لقوله : فابدؤا بالعَشَاء، ويترجح حمله على المغرب لقوله في الرواية الأخرى" فابدأوا به قبل أن تصلوا المغرب " والحديث يفسر بعضه بعضًا." (٣) .

ومن ذلك: حديث (أبي سعيد الخدريّ)– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال"(٤). قال الشنقيطي: "وفي معنى هذا الحديث ما أخرجه البخاري في الرقاق عن (أبي سعيد) أيضًا، قال: جاء أعرابيّ فقال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: " رجلٌ جاهد بنفسه وماله، ورجل في شِعب من الشعب، يعبد ربه ويدعُ الناس من شره"(٥).

١– الكوثر: ٤٦٩/٣ .

٢– كتاب (الأذان) باب(إذا حضر الطعام وأُقيمت الصلاة ، وكان ابن عُمر يبدأ بالعَشَاء) – حديث رقم ٦٧١ – ص ١٤٧.

٣– الكوثر: ٤٣٩/٨ .

٤– كتاب (الإيمان) ، باب (من الدين الفرار من الفتن) – حديث رقم ١٩– ص ١٥ .

٥– الكوثر: ٢/ ٦.

ومن ذلك: حديث (أبي هريرة) قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– " يُقبَض العلم ويظهر الجهل ... "[١] .

قوله: " يُقبَض العلم " قال ابن حجر: " وهو يفسر المراد بقوله، قبل هذا (يرفع العلم) و(القبض) يفسره حديث (عبد الله بن عمرو) الآتي في باب (كيف يقبض العلم)، إنه يقع بموت العلماء" [٢] .

ومن ذلك: حديث(عبد الله بن عمرو) قال : قال النبيّ – صلى الله عليه وسلم– " ويلٌ للأعقاب من النار " [٣] .

وقوله: " ويلٌ للأعقاب من النار". قال الشنقيطي:" وأظهر ما قيل في معناها ما رواه (ابن حبان) في صحيحه من حديث (أبي سعيد) مرفوعا " ويلٌ: واد في جهنم لو أُرْسِلت فيه الجبال لماعَتْ من حره"[٤].

[٣] شرح الحديث بالسيرة النبوية:

من الأدوات التي استعان بها شراح الحديث النبوي في شرح الحديث النبوي السيرة النبوية، وتاريخ الدعوة الإسلامية.

ومن ذلك: حديث (أسامة بن زيد) قال: أشرف النبيّ – صلى الله عليه وسلم– على أطم من آطام المدينة فقال: " هل ترون ما أرى ؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم، كمواقع القطر "[٥].

قال الشنقيطي: " إنما اختصت المدينة بذلك لأن قتل (عثمان)– رضى الله عنه– كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتال بـ (الجمل)، بـ (صفين) كان

١– كتاب (العلم) باب (من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس) – حديث رقم ٨٥ – ص ٣٤.

٢– الفتح: ٣٨٣/١.

٣– كتاب (العلم)، باب (من رفع صوته بالعلم) – حديث رقم ٦٠– ص ٢٧.

٤– الكوثر: ٢٢/٣.

٥– كتاب (فضائل المدينة) ، باب (آطام المدينة) – حديث رقم ١٨٧٨– ص ٣٨٥.

بسبب قتل (عثمان)، والقتال بـ (النهروان) كان بسبب التحكيم بـ (صفين)، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولّد عن شيء تولد عنه"[١].

ومن ذلك: حديث (عبد الله بن عمرو) رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " ويل للأعقاب من النار"[٢].

قال الشنقيطي: " وقد تواترت الأخبار عن النبيّ، صلى الله عليه وسلم، في صفة وضوئه، أنه غسل رجليه، وهو المبيّن لأمر الله"[٣].

ومن ذلك: حديث (أبي قتادة الأنصاري) قال: "أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يصلي وهو حامل (أمامة) بنت (زينب) بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها" [٤].

وقوله: "إذا قام وضعها" قال الشنقيطي:" ثبت من أن بنات النبيّ – صلى الله تعالى عليه وسلم – كن ينظفن صبيانهن للدخول عليه – صلى الله عليه وسلم"[٥].

ومن ذلك: حديث (أنس)– رضي الله عنه– قال: قدم أناس من عكل أو عرينة فجتووا المدينة فأمرهم النبي– صلى الله عليه وسلم بلقاح[٦] وأن يشربوا من أبوالها وألبانها [٧]. عند الحديث عن زمن قدومهم يمكن الاستعانة بالسيرة النبوية.

١– الكوثر ١٤ /٢٣٠.

٢– كتاب (العلم) ، باب (من رفع صوته بالعلم) – حديث ٦٠رقم – ص ٢٧.

٣– الكوثر ٣ / ٢٣ .

٤– كتاب (الصلاة) ، باب (إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة) – حديث رقم ٥١٦– ص ١١٩.

٥– الكوثر ٧ / ٤٢٢.

٦– النوق غزيرة اللبن .

٧– كتاب (الوضوء) ، باب (أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها) – حديث رقم ٢٣٣– ص ٦٤.

قال الشنقيطي:" ولابن إسحاق في المغازي أن قدومهم كان بعد غزوة ذي قَرَد، وكانت في جمادى الآخرة سنة ست، وذكرها المصنف بعد الحديبية، وكانت في ذي القعدة منها. وذكر الواقدي أنها كانت في شوال منها، وتبعه ابن سعد وابن حبان وغيرهما وللمصنف في المحاربين عن أيوب أنهم كانوا في (الصُّفْة) قبل أن يطلبوا الخروج إلى الإبل. " [١] .

وعند الحديث عن عدد اللقاح ومكان رعيها قال ابن سعد: أن عدد لقاحه عليه الصلاة والسلام خمس عشرة، وأنهم نحروا منها واحدة يقال لها (الحناء) وتابع في هذا الواقدي ... وعند أبي عوانة : " كانت ترعى بذي الجدر" بالجيم والدال المهملة الساكنة، ناحية (قُباء)، قريبًا من (عين علي) على ستة أميال من المدينة. [٢]

ومن ذلك: حديث (ابن عباس)– رضي الله عنهما– قال: " لما قدم النبي– صلى الله عليه وسلم – مكة استقبلته أغيلمة بني عبد المطلب فحمل واحدا بين يديه وآخر خلفه"[٣]. وقوله :" فحمل واحدا بين يديه، والآخر خلفه". قال (القسطلاني): أن الراكب بين يديه عبد الله بن جعفر، والراكب خلفه قثم بن العباس، وعزاه (للفتح)[٤].

[٤] شرح الحديث بذكر قصته (أسباب الحديث):

هناك أحاديث لها سبب، قيلت في مناسبات معينة، إذا عُرِفت تلك المناسبات ساعدت على فهم الحديث، هذه الأحاديث تدور حول مسايرة الحوادث، وإجابة السائلين من الصحابة– رضوان الله عليهم– وبيان الحكم الشرعي في الوقائع

١– الكوثر ٥ / ٢٣٦.

٢– الكوثر ٥ / ٢٣٨.

٣– كتاب (العمرة) ، باب (استقبال الحاج القادمين والثلاثة على الدابة) حديث رقم ١٧٩٨– ص ١٧٩٨ .

٤– إرشاد الساري ٤/ ٣٢٣.

المتجددة، وتوجيه لأنظار الصحابة إلى ما يقعون فيه من أخطاء، وإرشادهم إلى الصواب، ومعرفة تاريخ تلك الوقائع يساعد على معرفة الناسخ والمنسوخ من الأحاديث. ومعرفة أسباب الحديث من علوم الحديث التي ألف فيها العلماء، وهي كأسباب نزول القرآن الكريم .

يقول السيوطي:" من أنواع علوم الحديث معرفة أسبابه كأسباب نزول القرآن، ... وقد أحببت أن أجمع فيه كتابا فتتبعت (جوامع) الحديث والتقطت منها نبذا في هذا الكتاب"(١).

وقال (السراج البلقيني) عند الحديث عن العلوم (٢) التي أضافها إلى (ابن الصلاح) في كتابه " محاسن الاصطلاح ": " النوع التاسع والستون: معرفة أسباب الحديث ... تخريج مجموعة من الأحاديث. من مختلف الطرق، بيانا لسبيل معرفة أسبابها، في أبواب الشريعة والقصص وغيرها، أحاديث لها أسباب ..." (٣)

وقال (ابن دقيق العيد) عند شرح حديث عمر بن الخطاب: " إنما الأعمال بالنيات" "شرع بعض المتأخرين من أهل الحديث في تصنيف في أسباب الحديث، كما صُنف في أسباب النزول للكتاب العزيز. فوقفت من ذلك على شيء يسير له"(٤).

١- أسباب ورود الحديث (اللمع في أسباب الحديث) ص ٦٥.

٢- أضاف البلقيني في كتابه (زيادات محاسن الاصطلاح على مقدمة ابن الصلاح) خمسة علوم هي : رواية الصحابة بعضهم عن بعض – معرفة رواية التابعين بعضهم عن بعض – من اشترك من رجال الإسناد في فقه أو بلد أوغير ذلك – أسباب الحديث – التاريخ المتعلق بالمتون . ص ٩٤٣.

٣- مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح ص ٩٤٤.

٤- شرح عمدة الأحكام ص ٦٢

ومن أوائل من صنف في هذا العلم (العُكبري)[١]، وقال (ابن حجر) في (نزهة النظر): "أسباب الحديث من المهم معرفة سبب الحديث. وقد صنف فيه بعض شيوخ القاضي (أبي يعلى بن الفراء الحنبلي)، وهو (أبو حفص العُكْبُري)"[٢].

وسبب ورود الحديث قد يُذكر في الحديث أو في بعض طرقه، وبذكر سبب الحديث

يتضح المعنى ويظهر الفقه في المسألة.

قال الشيخ (أبو شهبة): "هو علم يبحث فيه عن الأسباب الداعية إلى ذكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الحديث أولا، وهذا السبب قد يكون سؤال، وقد يكون قصة، وقد تكون حادثة فيقول النبي – صلى الله عليه وسلم – الحديث بسببه أو بسببها[٣].

يقول الدكتور (أحمد عمر هاشم): " كما أن هناك أسبابا للنزول بالنسبة للقرآن الكريم فكذلك هناك أسباب للورود بالنسبة للحديث الشريف. وسبب الحديث قد يكون مذكورا في نفس الحديث وقد لا يكون مذكورا فيه. وحينئذ يرد في بعض طرق الحديث. أو في حديث آخر. وبذكر سبب ورود الحديث يتضح المعنى بصورة أوضح وأكثر، كما يظهر الفقه في المسألة "[٤].

ومن ذلك: حديث(سعد بن أبي وقاص)– رضى الله عنه– قال: " أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أعطى رهطا – وسعد جالس– فترك رسول الله – صلى

١– عمر بن أحمد بن عثمان العكبري البزاز أحد المسندين(٣٢٠– ٤١٧)هـ . تاريخ بغداد ١٣/ ١٤٥ رقم ٥٩٩٤– سير الأعلام ٢/ ٢٨٩٠ رقم ٤٢٠٥.

٢– نزهة النظر ١٤٥.

٣– الوسيط في علوم ومصطلح الحديث ص ٤٦٧.

٤– قواعد أصول الحديث ص ٢٧٧.

الله صلى الله عليه وسلم – رجلا هو أعجبهم إليّ، فقلت: يا رسول الله، مالك عن فلان؟ فو الله إني لأراه مؤمنا فقال: " أو مسلما ... "(١) .

قال (ابن حجر): " ومحصل القصة أن النبيّ – صلى الله تعالى عليه وسلم – كان يُوسع العطاء لمن أظهر الإسلام تألفًا، فلما أعطى الرهط – وهم من المؤلفة– وترك (جُعيلًا) وهو من المهاجرين، مع أن الجميع سألوه، خاطبه (سعد) في أمره لأنه كان يرى أن (جُعيلًا) أحق منهم لما اختبره منه دونهم، ولهذا راجع فيه أكثر من مرة، فأرشده النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – إلى أمرين: أحدهما: إعلامه بالحكمة في إعطاء أولئك وحرمان (جُعيل)، مع كونه أحب إليه مما أعطى، لأنه لو ترك إعطاء المؤلف لم يُؤمن ارتداده فيكون من أهل النار. ثانيهما: إرشاده إلى التوقف عن الثناء بالأمر الباطن دون الثناء بالأمر الظاهر، فوضح بهذا فائدة رد الرسول – عليه الصلاة والسلام – على (سعد)، وأنه لا يستلزم محض الإنكار عليه، بل كان أحد الجوابين على طريق المشورة بالأوْلى، والآخر على طريق الاعتذار"(٢).

ومن ذلك: حديث (عائشة) – رضى الله عنها– عن النبي– صلى الله عليه وسلم– قال: " قد أُذن أن تخرجن في حاجتكن "، قال هشام: تعني البراز(٣).

قال الشنقيطي: " هذا الحديث طرف من حديث جاء في التفسير مطولًا، وحاصله أن (سَوْدة) – رضي الله عنها – خرجت بعدما ضُرب الحجاب لحاجتها، وكانت عظيمة الجسم، فرأها (عمر) رضي الله عنه –، فقال: " أما والله لا تخفَيْن علينا، فانظري كيف تخرجين، فرجعت، فشكت ذلك إلى رسول الله – صلى الله تعالى

١– كتاب (الإيمان) باب (إذا لم يكن الإسلام علي الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل)– حديث رقم ٢٧– ص ١٨.

٢– الفتح: ١/ ١٧٣.

٣– كتاب (الوضوء)، باب (خروج النساء إلى البراز) – حديث رقم ١٤٧– ص ٤٩.

وسلم وهو يتعشى، فأوحى الله تعالى إليه، فقال: " إنه قد أُذن لكن أن تخرجن لحاجتكن ". أي: لضرورة عدم الأخلية في البيوت، فلما اتخذت فيها الكنف منعهنّ من الخروج إلا لضرورة شرعية"(١).

ومن ذلك: حديث (أبي موسى) – رضى الله عنه – قال: " سئل النبي –صلى الله عليه وسلم – عن أشياء كرهها فلما أُكْثِرَ عليه غضب ، قال للناس :" سلوني عمَّا شئتم " قال رجل : من أبي ؟ قال : " أبوك حذافة ... " (٢) .

وقوله " أبوك سالم مولى شيبة ". قال الشنقيطي: " كان سبب السؤال، طعن بعض الناس في نسب بعضهم على عادة الجاهلية"(٣) .

ومن ذلك: حديث (جابر)– رضي الله عنه– أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان في غزوة ذات الرقاع فَرُمِي رَجُل بسهمٍ فَنَزَفَهُ الدمُ فركع وسجد ومضى في صلاته(٤). قوله " فرمى رجل بسهم".

قال الشنقيطي: "محصل هذه القصة أن النبي– صلى الله عليه وسلم– نزل بشِعب، فقال: "من يحرُسُنا الليلة؟ " فقام رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فباتا بفم الشِّعب، واقتسما الليل للحراسة، فنام المهاجري، وقام الأنصاري يصلي، فجاء رجل من العدو، فرأى الأنصاري، فرماه بسهم، فأصابه، فنزعه، واستمر في صلاته ثم رماه بثان، فصنع كذلك، ثم رماه بثالث، فانتزعه وركع وسجد وقضى صلاته، ثم أيقظ رفيقه، فلما رأى ما به من الدماء قال له: لِمَ لا أنبهتني أول ما

١– الكوثر ٤/٢٧٤.

٢– كتاب (العلم) ، باب (الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره) – حديث رقم ٩٢– ص ٣٦ .

٣– الكوثر ٣ / ٣٣٩ .

٤– كتاب (الوضوء) باب (من لم ير الوضوء إلا من المخرجين القبل والدبر لقوله تعالي : " أو جاء أحد منكم من الغائط) .

رَمَى ؟ قال : كنت في سورة فأحببت أن لا أقطعها. وسمى (البيهقي) في " الدلائل " المهاجري (عمار بن ياسر)، والأنصاري (عبّاد بن بشر)، والسورة (الكهف)[١].

– سبب ذكر الصحابي للحديث: والشراح أحيانا يذكرون سبب رواية (ذكر) الصحابي للحديث، موضحين الظروف التي جعلت الصحابي يذكر هذا الحديث، والمناسبة التي دفعته، والغاية من ذكره .

وفرّق الشيخ أبو شهبة بين سبب ورود الحديث وبين سبب ذكر الصحابي له فقال: " أن سبب الورود إنما يراد به السبب الذي بسببه قال النبيّ – صلى الله عليه وسلم– الحديث، أما ذكر الصحابي للحديث فيما بعد ليستدل به في مناسبة من المناسبات فإنه لا يسمى سبب ورود وإنما يسمى : " سبب ذكر" فنقول مثلا : والسبب في ذكر الصحابي – رضي الله عنه – الحديث هو كذا "[٢].

ومن ذلك: حديث (البراء) – رضي الله عنه. حدثني عبد الله بن يزيد قال : حدثني البراء وهو غير كذوب قال : " كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا قال : " سمع الله لمن حمده " لم يحنِ أحدٌ منا ظهره حتى يقع النبي– صلى الله عليه وسلم– ساجدًا ثم نقع سجودًا بعده "[٣].

قال الشنقيطي:" وقد روى (الطبراني) ما يدل على سبب رواية (عبد الله بن يزيد) لهذا الحديث فإنه أخرج عنه أنه كان يصلي بالناس بـ (الكوفة)، فكان الناس يضعون رؤوسهم قبل أن يضع رأسه، ويرفعون قبل أن يرفع رأسه، فذكر الحديث في إنكاره عليهم"[٤].

ومن ذلك: حديث (أنس) – رضي الله عنه– قال : " ما أعرف شيئًا مما كان على

١– الكوثر: ٤٣٩/٤.

٢– الوسيط في علوم و مصطلح الحديث ص ٤٦٨.

٣– كتاب (الأذان)، باب (متى يسجد من خلف الإمام ؟) – حديث رقم ٦٩٠– ص ١٥١.

٤– الكوثر ٤٩٩/٨.

عهد النبيّ– صلى الله عليه وسلم، قيل: الصلاة، قال: أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها" [1] . قال الشنقيطي: " وقد روى (ابن سعد) في (الطبقات) سبب قول (أنس) هذا القول، قال (ثابت البناني): كنا مع (أنس بن مالك)، فأخّر (الحجاج) الصلاة، فقام (أنس) يريد أن يكلمه، فنهاه إخوانه شفقة عليه منه، فخرج فركب دابته، فقال في مسيرة ذلك: والله لا أعرف شيئا مما كنا عليه على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم، إلا شهادة أن لا إله إلا الله، فقال رجل: فالصلاة يا أبا حمزة؟ فقال: قد جعلتم (الظهر) عند المغرب، أفتلك كانت صلاة رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم؟ "[2].

[٥] شرح الحديث بأقوال الصحابة:

الصحابي راوي الحديث أدرى بمقاصد الحديث من غيره، وشرح الصحابة للحديث النبوي مقدم على غيرهم؛ لأنهم عاينوا نزول الوحي واطلعوا على القرائن، يأتي شرح الصحابة للحديث على ضربين، الشرح النظري، والتطبيق العملي.

(أ) الشرح النظري:

ومن ذلك : حديث (أنس) عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم– قال " ويَخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير"[3] .

وقوله: " وزن ذرة من خير"، قال الشنقيطي: " والذرة، قيل: هي واحدة الذر، وهو كما في (القاموس) صغار النمل ... ورُوي عن (ابن عباس) أنه قال: " إذا وضعت كفك في التراب، ثم نفضتها، فالساقط هو الذر ... " [4] .

١– كتاب (مواقيت الصلاة)، باب (تضييع الصلاة عن وقتها) – حديث رقم ٥٢٩– ص ١٢٢ .

٢– الكوثر: ٤٧٢/٧.

٣– كتاب (الإيمان) ، باب (زيادة الإيمان ونقصانه)– حديث رقم ٤٤ – ص٢٢ .

٤– الكوثر: ٢/ ٢٦٨.

ومن ذلك: حديث (ابن عمر) قال: " سأل رجل النبيّ – صلى الله عليه وسلم – وهو على المنبر: ما ترى في صلاة الليل؟ قال: "مثنى مثنى ... "[١] .

وقوله: " مثنى مثنى " قال الشنقيطي: " مثنى مثنى، فسره (ابن عمر) راوي الحديث كما عند مسلم عن (عقبة بن حُرَيث) قال: قلت لـ (ابن عمر): ما معنى مثنى مثنى؟ قال: تسلم من كل ركعتين"[٢].

(ب) التطبيق العملي:

ومن ذلك: حديث (أم عطية)– رضي الله عنها– قالت: " كنّا نُنهى أن نُحدَّ على ميت... ولا نكتحل ولا نتطيب ... "[٣].وقوله: " ولا نكتحل " قال الشنقيطي: ... كما أخرجه (ابن أبي شيبة) عن(صفية بنت أبي عُبيد) أنها أحَدَّت على(ابن عمر) فلم تكتحل، حتى كادت عيناها تزيغان، فكانت تقُطُر فيهما الصبر "[٤] .

ومن ذلك: حديث (ابن عباس) قال: " مر النبيّ – صلى الله عليه وسلم– بحائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، ... ثمّ دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة، ... "[٥] .

قال:" وقد تأسى (بُرَيدة بن الحُصَيْب) الصحابي بذلك، فأوصى أن يوضع على قبرة جريدتان كما أخرجه (المصنف) في (الجنائز) تعليقا ، و(ابن سعد) موصولا، وهو أولي أن يُتّبع من غيره ... وعلى كل حال، فعل (بُرَيدة) فيه استئناس لما

١– كتاب (الصلاة) ، باب (الحِلق والجلوس في المسجد) – حديث رقم ٤٧٢– ص ١١٢.

٢– الكوثر: ٣٠٥/٧ .

٣– كتاب (الحيض)، باب (الطيب للمرأة عند غُسلها من الحيض) حديث رقم ٣١٣ – ص ٧٨.

٤– الكوثر: ٩٨/٦.

٥– كتاب (الوضوء) باب (من الكبائر أن لا يستتر من بوله) – حديث رقم ٢١٦– ص ٦١.

تفعله الناس اليوم من وضع الجريد ونحوه على القبر، فإن (الصحابيّ) أدرى بمقاصد الحديث من غيره"[١] .

[٦] شرح الحديث بأقوال التابعين:

التابعي من صحب الصحابي.[٢] تلقوا العلم من الصحابة مباشرة، واهتم العلماء بآثارهم فجعلوها مع آثار الصحابة.

ومن ذلك: حديث (ابن عباس) قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : " لو أن أحدكم إذا أتي أهله قال بسم الله، ... فقضى بينهما ولد لم يضره"[٣]. وقوله: " لم يضره ". قال الشنقيطي: " وقيل: لم يضره بمشاركة أبيه في جِماع أمه كما جاء عن (مجاهد): إن الذي يُجامع ولا يسمّى يلتفُّ الشيطان على إحليله فيجامع معه، وذلك قوله: (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان)[٤].

ومن ذلك: حديث(أنس)– رضي الله عنه– قال: " كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يُصلي قَبلَ أن يُبنى المسجد في مرابض الغَنَمِ"[٥]. قال الشنقيطي:" وممن رُوي عنه إجازة ذلك وفعله: ... و(الحسن) و(ابن سيرين) و(النخعي) و(عطاء) .

ومن ذلك: حديث (أسامة بن زيد رضي الله عنهما) قال: " فقلت: الصلاة يا رسول الله، فقال : " الصلاة أمامك " ، فركب، فلما جاء المزدلفة نزل ... " [٦]. قال الشنقيطي : " والمزدلفة تسمى جَمْعا – بفتح الجيم وسكون الميم – وسُميت

١– الكوثر: ١٤٠/٥.

٢– الكفاية في علم الرواية –للخطيب البغدادي ت ٤٦٣– ص ٢٢.

٣– كتاب (الوضوء)، باب (التسمية على كل حال وعند الوقاع) حديث رقم ١٤١– ص ٤٧.

٤– الرحمن ٥٦.

٥– كتاب (الوضوء) باب (أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها)– حديث رقم ٢٣٤ – ص ٦٤.

٦ – كتاب (الوضوء) باب (إسباغ الوضوء) – حديث رقم ١٣٩ – ص ٤٧ .

جمعا لأن آدم اجتمع فيها مع حواء، وأزدلف إليها، أي دنا منها. وروى عن (قتادة) أنها سميت جمعا لأنها يُجمع فيها بين الصلاتين"[١].

[٧] شرح الحديث بلغة العرب:

هذه الأداة الكبرى تعمل وفق آليات، منها التوجيه النحوي، والصرفي، والبلاغي، ومن العلوم التي تلزم شارح الحديث النبوي علوم اللغة وغريب الكتاب والسنة وأصول الفقه.

معنى التوجيه :

التوجيه لغة: وَجَّهَ يُوَجِّهُ تَوْجيها. الشيء: أداره إلى جهة من الجهات[٢].

ووَجْهُ الكلام: السبيلُ الذي تقصده به[٣].

وذكر الزركشي[٤] التوجيه في القراءات القرآنية فقال:" وهو فن جليل، وبه تعرف جلالة المعاني"[٥].

ومعرفة الحديث النبويّ تنقسم إلى: معرفة ألفاظه، ومعرفة معانيه، ومعرفة ألفاظه تنقسم إلى: عامة وخاصة، والخاصة، ما ورد فيه من الألفاظ اللغوية، والكلمات الغريبة الحوشيّة، التي لا يعرفها إلا من عُنِيَ بها ... وتنقسم إلى :

---

١ – الكوثر ٤ / ٢٢٥.

٢ – المعجم العربي الأساسي – ط المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون ١٩٨٩م – ص ١٢٩٣

٣٣ – لسان العرب ١٣ / ٥٥٦.

٤ – بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ولد بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ – وتوفي سنة ٧٩٤هـ – علم من أعلام الفقه والحديث والتفسير . انظر ترجمته في مقدمة البرهان .

٥ – البرهان في علوم القرآن ص ١/ ٣٤٢– لبدر الدين الزركشي – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – ط دار التراث دت ،

١- معرفة ذّاته: وهي معرفة وزن الكلمة وبنائها، وتأليف حروفها؛ لئلّا يتبدل حرف بحرف أو بناء ببناء.

٢- معرفة صفاته: وهي معرفة حركاته وإعرابه، لئلّا يختل فاعل بمفعول، أو خبر بأمر أو غير ذلك من المعاني التي مبنى فهم الحديث عليها .

فمعرفة الذات استقل بها علماء اللغة والاشتقاق، ومعرفة الصفات استقل بها علماء النحو والتصريف، وإن كان الفريقان لا يكادان يفترقان لاضطرار كل منهما إلى صاحبه في البيان[١].

(أ) التوجيه النحوي :

علاقة علم النحو بالحديث النبويّ علاقة وثيقة الصلة، فالنحو من العلوم الخادمة للحديث النبوي. قال (شعبة بن الحجاج): " مثل صاحب الحديث الذي لا يعرف العربية، مثل الحمار عليه مخلاة لا علف فيها"[٢] .

وقال (حمّاد بن سلمة):" من طلب الحديث ولم يتعلم النحو- أوقال: العربية- فهو مثل الحمار، تعلق عليه مخلاة ليس فيها شعير"[٣] .

قال أبو بكر (ابن الأنباري): "وجاء عن أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم وتابعيهم من الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله باللغة والشعر ما بيّن صحة مذهب النحويين في ذلك وأوضح فساد مذهب من أنكر ذلك عليهم[٤].

١- النهاية في غريب الحديث والأثر (ص:٤) – لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (٥٤٤- ٦٠٦ هـ) تحقيق : طاهر أحمد الزاوي، محمود الطناحي- ط الحلبي ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م القاهرة .

٢- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل(ص٦٠) – لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري(٢٧١- ٣٢٨هـ) تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .

٣- الوقف والابتداء ٦١.

٤- نفسه ٦١.

فلزم تعلم قواعد النحو لمن تصدى لشرح الحديث النبوي؛ حتى لا يلحن فيقع تحت قوله صلى الله عليه وسلم : " من كذب علي فليتبوأ مقعدة من النار"[١].

والنحو هو قانون اللغة، وميزان تقويمها، ومن كلام الإمام (مالك)– رضى الله تعالى عنه – الإعراب حَلْيُ اللسان فلا تمنعوا ألسنتكم من حليها [٢] .

التوجيه النحوي الهدف منه تفسير المعاني ... ويكون هذا– في الغالب– عن طريق الإعراب [٣] .

قال الفراء: "كل مسألة وافق إعرابها معناها، ومعناها إعرابها فهو الصحيح". "ولم يوجد في كلام العرب ولا أشعار الفحول إلا ما المعنى فيه مطبق للإعراب، والإعراب مطبق للمعنى"[٤].

التوجيه النحوي:" هو ذكر الحالات والمواضع الإعرابية، وبيان أوجه كل منهما، وما يؤثر فيهما، وما يلزم ذلك من تقرير وتفسير أو تعليل أو استدلال أو احتجاج"[٥]. والهدف الرئيس من التوجيه النحوي والإعراب هو استجلاء المعاني، فمعرفة حركات الكلمة وإعرابها وضبطها وسيلة لمعرفة المعنى.

يقول ابن فارس في كتابه (الصحابي) [٦]: في باب الإفهام والفهم: "يقع ذلك بين المتخاطبين من وجهين: أحدهما الإعراب، الآخر التصريف. هذا فيمن يعرف

١– حديث (الزبير بن العوام) – رضي الله عنه– صحيح البخاري– كتاب (العلم) باب (إثم من كذب على النبي – صلى الله عليه وسلم) – حديث رقم ١٠٧– ص ٣٩.

٢– صبح الأعشى ١ / ١٦٧ .

٣– التوجيه النحوي والصرفي للقراءات القرآنية عند أبي علي الفارسي ص٢٩.

٤– طبقات النحويين واللغويين – ص ١٣١– لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي ت ٣٧٩هـ –تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – ط٢ دار المعارف القاهرة دت .

٥ – قواعد التوجيه في النحو العربي – الدكتور عبد الله الخولي – ص ١٢.

٦– أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي ت ٣٩٠هـ – كان إماما في علوم شتى، وخصوصا اللغة، انظر ترجمته في كتابه " الصحابي". وكان بينه وبين الوزير: الصاحب ابن عباد مودة كبيرة ؛ فجعل هذ الكتاب رمزا للمودة القائمة بينهما – الصحابي ١٢. .

الوجهين، فأما من لا يعرفهما فقد يمكن القائل إفهامُ السامع بوجوه يطول ذِكرها من إشارة وغير ذلك. وإنما المُعَوَّل على ما يقع في كتاب الله جلّ ثناؤه

من الخطاب أو في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ...".[١]

– وظيفة الإعراب: قال ابن فارس في (الصحابي): " فأما الإعراب– فبه تُميّز المعاني ويُوقف على أغراض المتكلمين.

وذلك أن قائلا لو قال: " ما أحسن زيدْ " غيرَ معرب" أو " ضرب عمرْ زيد " غير معرب لم يوقف على مراده .

وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها: فهم يفْرُقون بالحركات وغيرها بين المعاني. " مِفْتَح " للآلة التي يُفتح بها. و" مَفْتَح " لموضع الفتح ..."[٢].

وفسّر المعنى فقال : " فهو القصد والمراد، الشيء الذي يفيده اللفظ . وقال قوم اشتقاق " المعنى " من "الإظهار " يقال : "عَنتِ القِربة " إذا لم تحفظ الماء

بل أظهرته، و" عُنوان الكتاب" من هذا"[٣].

وقد استعان شراح الحديث النبوي بالنحو والإعراب في كشف معاني كلمات الحديث، واستنباط الأحكام الفقهية .

ومن ذلك: حديث (أسماء) – رضي الله عنها – قالت : " اتيت عائشة وهي تصلي فقلت ما شأن الناس ... قلت: آية ..."[٤]. وقوله : " قلت : آية ".

١– الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها – لابن فارس (ص ١٩٧) – تحقيق : الدكتور عمر فاروق الطبّاع – ط١ مكتبة المعارف ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م – بيروت – لبنان .

٢– الصحابي لابن فارس ص ١٩٦.

٣– الصحابي لابن فارس ص ١٩٨.

٤ – كتاب (العلم) ، باب (من أجاب الفُتيا بإشارة اليد والرأس) – حديث رقم ٨٦– ص ٣٤.

قال الشنقيطي: " هو بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي : هذه آية، أي علامة لعذاب الناس، لأنها مقدمة له، قال تعالى : " وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا "(١)، أو علامة لقرب زمان قيام الساعة " (٢) .

ومن ذلك: حديث (أسامة بن زيد رضي الله عنهما) قال : " ... فقلت : الصلاة يا

رسول الله ... " (٣).

وقوله: " فقلت الصلاة ". قال:" أي بالنصب على الإغراء، أو بتقدير أتريد أو أتصلي الصلاة، ويجوز الرفع على تقدير أحانت الصلاة. " (٤)، فكلمة الصلاة المقصود منها مبهم، لا يظهر المراد منها إلا بعد إعرابها .

ومن ذلك: حديث (أسماء)– رضى الله عنها– قالت: " أتيت عائشة وهي تصلي... – لا أدري أيّ ذلك قالت أسماء ... " (٥).

وقوله: " لا أدري ".قال: " أيّ ذلك قالت أسماء: جملة معترضة بين العامل ومعموله، مؤكدة لمعنى الشك المستفاد من كلمة مثل. أو بيّن بها الراوي أن الشك منه هل قالت أسماء (مثل) أو قالت (قريبا) ؟ وأيّ : مرفوع بالابتداء، والخبر (قالت أسماء) وضمير المفعول محذوف، أيّ قالته. وفعل الدراية معلق بالاستفهام، لأنه أفعال القلوب. وروي (أيّ) بالنصب مفعولا لأدري إن جُعلت موصولة، أو(لقالت) إن جُعلت استفهامية أو موصولة " (٦).

١– الإسراء ٥٩

٢– الكوثر ٣ / ٢٩٥ .

٣– كتاب (الوضوء) ، باب (إسباغ الوضوء) – حديث رقم ١٣٩ – ص ٤٧.

٤– الكوثر ٤ / ٢٢٤ .

٥– كتاب (العلم) ، باب (من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس) – حديث رقم ٨٦ – ص ٣٤.

٦– الكوثر ٣ / ٢٩٨ .

ومن ذلك: حديث (أبي هريرة) – رضي الله عنه– عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم– قال : " ... ومن رآني في المنام فقد رآني ... [١].

وقوله: " ومن رآني في المنام فقد رآني " .

قال: " مَن شرطية، جوابه فقد رآني، ولأجل كون الجزاء لابد أن يكون غير الشرط، ويكون الشرط سببًا متقدمًا عليه، والأمر هنا ليس كذلك كان الجزاء حقيقة لازم، فقد رآني في تقديره فليستبشر، فإنه قد رآني. واتحاد الشرط والجزاء صورةً يدلُّ على الكمال والغاية"[٢].

ومن ذلك: حديث(عبد الرحمن بن أبي بكر)– رضي الله عنهما– قال: أن أصحاب الصُّفَّة كانوا أُناس فقراء، وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " ممن كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ... " وأن أبا بكر جاء بثلاثة... قالت: أبوا حتى تجئ قد عرضوا فأبوا ، ..."[٣].

وقوله:" قد عُرّضوا فأبوا "، قال الشنقيطي: " على هذا تكن (الفاء) في " فأبوا " سببية، أي: فبسبب ذلك أبوا. وفي رواية بتخفيف الراء، وتوجيهه، أي: عرض الطعام عليهم، فحذف الجار ووصل الفعل، أو هو من باب القلب، كعرضتُ الناقة على الحوض"[٤].

ومن ذلك: حديث(عبادة بن الصامت) – رضي الله عنه .حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني أبو إدريس: عائذ الله بن عبد الله أن عبادة

١– كتاب (العلم) ، باب (إثم من كذب على النبيّ – صلى الله عليه وسلم–) – حديث رقم ١١٠– ص ٣٩.

٢– الكوثر: ٤٦٨/٣ .

٣– كتاب (مواقيت الصلاة) ، باب (السمر مع الأهل والضيف)– حديث رقم ٦٠٢– ص ١٣٤.

٤– الكوثر: ١٩٧/٨ .

بن الصامت رضي الله عنه – وكان شهد بدرا، وهو أحد النقباء ليلة العقبة"[١]. قال : " والواو في قوله : " وهو" ، وقوله :" وكان " هي الواو الداخلة على الجملة الموصوف بها لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، وإفادة أن اتصافه بها أمر ثابت، ولا ريب أن كون شهود عُبادة بدرا وكونه من النقباء صفتان من صفاته، ..."[٢].

ب- التوجيه الصرفي:

الصرف يختص بأبنية الكلمات وأوزانها وما يصيبها من تغيير من حذف وزيادة، فتغير المباني يتبعه بالضرورة تغير في المعاني. ويقصد به ضبط المفردات ضبطا لغويا، ومعرفة أوزانها وأبنيتها وتأليف حروفها حتى لا تتبدل الحروف والأبنية، وله أهمية كبرى في فهم المعنى، ورفع اللبس عن احتمال التصحيف والخلط والتحريف الذي يؤدي إلى خلل المعنى.

حتى عده (الزركشي)[٣] أهم من النحو لتعلقه ببنية الكلمة، والنحو يتعلق بالعوارض التي تصيب الكلمة. ذكره (الزركشي) في علوم القرآن النوع التاسع عشر باسم " التصريف". يقول (الزركشي) عند تعريفه في (البرهان): " وهو ما يلحق الكلمة ببنيتها، وينقسم قسمين: أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من المعاني. وينحصر في التصغير والتكبير، والمصدر واسمَي الزمان والمكان، واسم الفاعل، واسم المفعول، والمقصور، والممدود.

١- كتاب (الإيمان) باب (١١) بلا ترجمة – حديث رقم ١٨- ص ١٦- وسقط من رواية الأصيلي فصار الحديث الترجمة السابقة ،والشنقيطي يعتبر الترجمة المرسلة بمثابة الفصل مما قبلها، يقول : " لأن الباب إذا لم تذكر له ترجمة خاصة يكون بمنزلة الفصل مما قبله، مع تعلقه به كصنيع مصنفي الفقهاء ، ... الكوثر ٥٣٤/١.

٢- الكوثر ٥٣٦/١.

٣- الإمام بدرالدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ت ٧٩٤هـ ، علم من أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين ، انظر ترجمته في الجزء الأول (البرهان في علوم القرآن) .

والثاني تغيير الكلمة لمعنى طارئ عليها. وينحصر في الزيادة، والحذف، والإبدال، والقلب، والنقل، والإدغام .

وفائدة التصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد؛ فالعلم به أهمّ من معرفة النحو في تعرّف اللغة؛ لأن التصريف نظرٌ في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارضها. وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر"[١].

ويبرز (ابن فارس)[٢] أهميته فيقول في كتابه (الصحابي)[٣]: "وأما التصريف– فإنّ من فاته علمُه فاته المُعظَم، لأنا نقول: " وَجَدَ " وهي كلمه مبهمة فإذا صرفنا أفصحتْ فقلنا في المال " وَجْدا " وفي الضالة " وِجْدانا " وفي الغضب " مَوْجِدَة " وفي الحزن " وَجْدا ..."[٤].

والتوجيه الصرفي يأتي على عدة صور:

[١] ضبط حروف الكلمة مع ذكر مفردة تماثلها في الوزن والمعنى؛ لتقريبها للذهن.

١– البرهان في علوم القرآن – للزركشي – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – ط دار التراث – القاهرة دت .

٢– أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي ت ٣٩٠هـ – كان إماما في علوم شتى ، وخصوصا اللغة ، انظر ترجمته في كتابه " الصحابي " .

٣– كان بينه وبين الوزير : الصاحب بن عباد مودة كبيرة ؛ فجعل هذ الكتاب رمزا للمودة القائمة بينهما – الصحابي ١٢.

٤– الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها – لابن فارس (ص ١٩٧) – تحقيق : الدكتور عمر فاروق الطبّاع – ط١ مكتبة المعارف ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م – بيروت – لبنان .

ومن ذلك: حديث (أبي سعيد الخضري) أنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– " يُوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن"(١).

عند شرح المفردات قال: (قوله) "يُوشك" قال الشنقيطي:" بكسر الشين المعجمة أي: (يُسرع) (وزنا ومعنى). وقوله " شَعَف الجبال " بفتح المعجمة، والعين المهملة، جمع (شَعَفة) كـ (أَكَمة) و(أكم)، وهي رؤوس الجبال.

وقوله:" مواقِع القطر" بكسر قاف مواقع (كمواضِع) (وزنا ومعنى)، والقطر المطر، والمواقع هي بطون الأودية، وخصهما بالذكر لأنهما مظان المرعي (٢).

ومن ذلك : حديث (أنس) رضي الله عنه – عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – قال :" آية الإيمان حُب الأنصار ..."(٣).

وقوله : " حب الأنصار " قال : " وهم الأوس والخزرج، وهو جمع قلة على وزن (أفعال) جمع نصير، كشريف وأشراف، أو جمع ناصر كصاحب وأصحاب، واستشكل هذا الجمع بأنه لا يكون لما فوق العشرة، وهم ألوف،

وأجيب بأن القلة والكثرة إنما يعتبران في نكرات الجموع، وأما المعارف فلا فرق بينهما"(٤).

ومن ذلك: حديث(ابن عمر) – رضي الله عنهما – قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم : " أرى رُؤياكم قد تواطأت في العشر الأواخر..."(٥).

١- كتاب (الإيمان) ، باب (من الدين الفرار من الفتن)- حديث رقم ١٩- ص ١٦ .

٢- الكوثر: ٥/٢ .

٣- كتاب (الإيمان) ، باب (علامة الإيمان حب الأنصار) – حديث رقم ١٧- ص ١٦.

٤- الكوثر: ٥٣٠/١ .

٥- كتاب (التهجد) ، باب (فضل مَن تعار من الليل فصلى) – حديث رقم ١١٥٨- ص ٢٣٩.

وقوله: " تواطأت" بالهمز. قال الشنقيطي:" أي: توافقت وزنًا ومعنىً. وقال (ابن التين): رُوي بغير همز، والصواب بالهمز، وأصله أن يطأ الرجل برجله مكان وطء صاحبه."[١].

ومن ذلك: حديث (أنس)– رضي الله عنه – قال النبي – صلى الله عليه وسلم قال: "أميطي عنا قِرَمَكِ هذا، ... "[٢].

وقوله : " أميطي ". قال الشنقيطي:" قال : أمر من أماط أي : أزيلي وزنا ومعنى"[٣].

[٢]– ضبط الكلمة دون ذكر وزنها مع ذكر أمثله لها.

ومن ذلك: حديث (سعد بن أبي وقاص) رضى الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " ... خشية أن يكبه الله في النار"[٤] .

وقوله: " يَكُبّه الله ". قال الشنقيطي:" هو بفتح أوله وضم الكاف، يقال: أكبّ الرجل إذا أطرق، وكَبّه غيره إذا قلبه، وهذا على خلاف القياس، لأن الفعل اللازم يتعدى بالهمزة، وهذا زيدت فيه الهمزة فقصر، وجاء نظير هذا في أحرف يسيرة منها : أنسَلَ ريشُ الطائر ونسلتُه، وأنزفت البئرُ ونزفتها، أمْرت الناقةُ : درت، ومَرَيتها، وأشبق البعير: رفع رأسه، وشبقته، وأقشع الغيم، وقشعته الريح، وفي هذا

١– الكوثر: ١١/ ٨٩ .

٢– كتاب (الصلاة) باب (إن صلى في ثوب مصلب أو تصاوير هل تفسد صلاته ؟ وما ينهى عن ذلك) – حديث رقم ٣٧٤– ص ٩٤.

٣– الكوثر: ٤٤٧/٦.

٤– كتاب الإيمان) باب (إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل) – حديث رقم ٢٧– ص ١٨.

اللفظ كناية، فإن الكَبّ في النار لأزم الكفر، فأطلق اللازم وأريد الملزوم الذي هو الكفر "[١].

ومن ذلك: حديث (أبي هريرة)– رضي الله عنه – قال: قال رسوالله – صلى الله عليه وسلم –: " ... والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عَرْقًا سَمِينًا أو مِرماتين حسنتين لشهد العِشَاء"[٢].

وقوله: " مِرمَاتين ". قال الشنقيطي: " تثنية بكسر الميم، مثل مِنسأة ومِيضأة، وما بين ظلفي الشاة من اللحم أو الظلفان نفسهما"[٣] .

[٣] ذكر وزن الكلمة المراد شرحها مع التمثيل:

ومن ذلك: حديث (علي) – رضي الله عنه– قال : " كنت رجلا مذّاء ... " [٤] .

قوله : " كنت رجلًا مذّاء " قال الشنقيطي: " بتثقيل الذال المعجمة، والمد بصيغة المبالغة، أي كثير المذي، يقال مَذَى يَمذْي مثل مضى يمضي، ثلاثيا، ويقال أيضا: أمذى يُمْذي بوزن أعطى يُعطي رباعيا " [٥] .

ومن ذلك: حديث (ابن عباس) رضي الله عنهما – قال : كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا قام من الليل يتهجد قال:" اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ... ". [٦] قوله : " قيم السموات " .

١– الكوثر: ٨٢/٢ .

٢– كتاب (الأذان) ، باب (وجوب صلاة الجماعة) – حديث رقم ٦٤٤– ص ١٤٢.

٣– الكوثر: ٣٥٣/٨ .

٤– كتاب (العلم) ، باب (من استحيا فأمر غيره بالسؤال) – حديث رقم ١٣٢– ص ٤٤.

٥– الكوثر: ١٥٧/٤.

٦– كتاب (التهجد) باب (التهجد بالليل، وقوله عز وجل: " ومن الليل فتهجد به نافلة لك ") – حديث رقم ١١٢٠– ص ٢٣٣.

قال الشنقيطي: " خالقهما وممسكهما أن تزولا، وأصل قيّم قيوم على وزن فيعل مثل صيّب، وأصل القيوم القَيْوُوم، اجتمعت الياء والواو، وسبق إحداهما بالسكون، فوجب قلب الواو ياء، وأدغمت الأولى في الثانية على القاعدة التصريفية " .[١]

[٤] – ذكر كلمات سمع فيها أكثر من بناء :

ومن ذلك: حديث(أبي سفيان) مع (هرقل)قال:" فهل يرتد أحد منهم سَخْطَة لدينه"[٢] وقوله : " فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه ".

قال : " (سخطة) بفتح السين وضمها مفعول لأجله أو حال، أي ساخطا أي كراهة له وعدم الرضا، والسخط بلا تاء يجوز فيه الضم مع ضم الخاء وسكونه، والفتح مع تحريك الخاء، وهو أحد الأسماء العشرة التي يجوز فيها الفعل بضم الفاء وسكون العين، وبالتحريك،..."[٣].

ومن ذلك: حديث (عائشة)–رضي الله عنها.قال ورقة بن نوفل مخاطبا النبي – صلى الله عليه وسلم: " نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي ..."[٤].

وقوله: " لم يأت رجل قط ". قال الشنقيطي: " ظرف مستغرق للزمن الماضي ... وفيها لغات: قط – بفتح القاف وتشديد الطاء مضمومة، وبفتحها وتشديد الطاء مكسورة، وبفتحها وسكون الطاء، وبفتحها وضم الطاء مخففا، وبضمها وتشديد الطاء مضمومة"[٥].

١– الكوثر: ١١/ ٦.

٢– كتاب (بدء الوحي)

٣– الكوثر: ١/ ٣٣٣ .

٤– كتاب (بدء الوحي) باب (كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وقول الله جل ذكره " إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ") – حديث رقم ٣– ص ٩.

٥ – الكوثر: ٢٤٢/١.

ج – التوجيه البلاغي:

تميزت البلاغة النبوية بخصائص تفردت بها، يقول الجاحظ في تعريفها : " هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونُزه عن التكلف، ... واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهَجَرَ الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق"[١].

ويمكن الاستعانة بعلوم البلاغة في شرح الحديث النبوي، واستجلاء المعاني.

(أ) علم البيان:

ومن ذلك: حديث (أبي موسى)– رضى الله عنه– عن النبيّ– صلى الله عليه وسلم – قال: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثيرأصاب أرضا ، فكان منها ..."[٢].

قوله: " أصاب أرضًا ". قال الشنقيطي: "وفي تشبيه السامعين بالأرض معنى بليغ جدًا، وهو أن بني (آدم) أصلهم من الأرض، وأجناسهم بحسب أجناس الأرض، لأن طينة أبيهم (آدم)، عليه السلام، أُخذت من جميع أجناس الأرض، كما قيل فصار في بني (آدم)، جميع أوصاف الأرض، من سبخة وأرض طيبة، ووعر وحزن، وغير ذلك"[٣].

هنا شبه استجابة الناس للهدى والعلم باستجابة الأرض للمطر، منها الأرض النقية التي قبلت الماء فأنبتت الكلاء والعشب فنفعت نفسها وغيرها، والنوع الثاني

١– البيان والتبيين ١٦/٢– للجاحظ – تحقيق : عبد السلام محمد هارون – ط٧ ١٩٩٨م مكتبة الخانجي – القاهرة .

٢– كتاب (العلم) باب (فضل من عَلِم وعَلَّم) – حديث رقم ٧٩ – ص ٣٣.

٣– الكوثر ٣ / ٢٥٩ .

القيعان التي لا تنبت ولكن تمسك الماء لغيرها (الأنهار) لم تنتفع ونفعت غيرها، والنوع الثالث أجادب لا تنبت فتفيد منه، ولا تمسك الماء فتفيد غيرها.

ومن ذلك: حديث (أبي سعيد الخدري) قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " ... وعُرض عليّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره ..."[١].

قال الشنقيطي:" وفي هذا الحديث (التشبيه البليغ)، وهو تشبيه الدين بالقميص، لأنه يستر عورة الإنسان، وكذلك الدين يستره من النار ومن الفضائح الدنيوية. وفيه الدلالة على التفاضل في الإيمان كما هو مفهوم تأويل القميص بالدين مع ما ذكره من أن اللابسين يتفاضلون في لبسه"[٢].

ومن ذلك: حديث (ابن عمر) قال : قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–" بني الإسلام على خمس ... " [٣].

وفي قوله: " بُني الإسلام " قال العيني: " فيه الاستعارة بالكناية، لأنه شبه الإسلام بمبنى له دعائم، فذكر المشبه وطوى ذكر المشبه به، وذكر ما هو من خواص المشبه به وهو البناء، ويسمى هذا استعارة ترشيحية، ويجوز أن تكون: استعارة تمثيلية، بأن تمثل حالة الإسلام مع أركانه الخمسة بحالة خباء أقيمت على خمسة أعمدة..."[٤].

ومن ذلك: حديث (أنس) رضى الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ... "[٥].

١– كتاب (لإيمان) باب (تفاضل أهل الإيمان في الأعمال) – حديث رقم ٢٣ – ص ١٧.

٢– الكوثر ٢ /٤٣.

٣– كتاب (الإيمان) باب (دعاؤكم إيمانكم لقوله تعالى: " قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ") حديث رقم ٨ – ص١٤

٤– عمدة القاري ١٩٩/١.

٥– كتاب (الإيمان) باب (حلاوة الإيمان) – حديث رقم ١٦ – ص ١٦ .

وفي قوله: " حلاوة الإيمان ". قال: " (استعارة تخييلية)، واستعارة بالكناية، وذلك أنه شبه رغبة المؤمن في الإيمان بالعسل، ونحوه، ثم أثبت له لازم ذلك، وهو الحلاوة، وأضافه إليه، فالتشبيه المضمر استعارة بالكناية، وإثبات اللازم استعارة تخييلية، وفيه تلميح إلى قصة المريض والصحيح، لأن المريض الصفراويّ يجد طعم العسل مرًا، والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه، وكلما نقصت الصحة شيئا ما نقص ذوقه بقدر ذلك، فكانت هذه الاستعارة من أوضح ما يقوي استدلال (المصنف) على زيادة الإيمان ونقصانه"[١].

(ب) علم المعاني :

ومن ذلك: حديث (أبي هريرة) – رضي الله عنه – عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم– قال: " أما يَخْشَي أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار... " [٢]. قوله: " أما يخشى " قال الشنقيطي : " استفهام توبيخ " [٣] .

ومن ذلك: حديث(عائشة) رضى الله عنها – قالت " ثم حبب إليه الخلاء " [٤] قال الشنقيطي:" ودل الحديث على أن خلوته حكم مرتب على الوحي، لأن كلمة (ثم) للترتيب، فالخلوة مرتبة على الرؤيا الصالحة، وأيضا ولو لم تكن من الدين، لَنُهي عنها، بل هي ذريعة لمجئ الحق، وظهوره مباركا عليه، وعلى أمته، وتأسيسا وسلامة من المناكير وضررها"[٥] .

١– الكوثر: ٥١٨/١.

٢– كتاب (أبواب الأذان) باب (إثم من رفع رأسه قبل الإمام) – حديث رقم ٦٩١– ص ١٥١.

٣– الكوثر: ٥/٩.

٤– كتاب (بدء الوحى) باب (كيف كان بدء الوحى) – حديث رقم ٣ – ص ٩.

٥– الكوثر: ١/ ٢٣٣.

ومن ذلك: حديث (أبي ذر) قال: قال لي النبيّ : " يا أبا ذر، أعيرته بأمه ..."[١].
وقوله: " أعيرته بأمه " قال الشنقيطي: " بالاستفهام على وجه الإنكار التوبيخي"[٢].

(ج) علم البديع :

ومن ذلك: حديث(عائشة) رضي الله عنها – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم قال :" ... عليكم بما تطيقون فو الله لا يمل الله حتى تملوا " [٣] .

قوله: " لا يَمَلُّ الله حتى تملُّوا " قال الشنقيطي: " هو بفتح الميم في الموضعين، والمَلال استثقال الشيء، ونفور النفس منه بعد محبته، وهو محال على الله تعالى باتفاق، لأنه من صفات المخلوقين. قال المحققون: إن هذا الإطلاق من باب المشاكلة والازدواج [٤]، وهو أن تكون إحدى اللفظتين موافقة للأخرى لفظا، مخالفة لها معنى، كقوله تعالى: " وجزاء سَيِّئَةٍ سيئةٌ مثلها "[٥] قال(القرطبي): وجه مجازه أنه تعالى لما كان يقطع ثوابه عمن يقطع العمل ملالًا، عبر عن ذلك

١– كتاب (الإيمان) باب (المعاصي من أمر الجاهلية ولا يُكفَّر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك لقول النبي – صلى الله عليه وسلم– : " إنك امرؤ فيك جاهلية ") حديث رقم ٣٠ – ص ١٩.

٢– الكوثر ٢ / ١١٧.

٣– كتاب (الإيمان) باب (أحب الدين إلى الله أدومه) – حديث رقم ٤٣– ص ٢٢.

٤– المشاكلة : هي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته كقوله تعالى : " تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ". وكقوله : قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه :. قلت اطبخوا لي جبه وقميصا، [مفتاح العلوم للسكاكي ص٤٢٤] أي يستعير المتكلم لشيء لفظا لا يصح إطلاقه على المستعار له إلا مجازا ، وإنما يستعير له هذا اللفظ لوقوعه في سياق ما يصح له

٥– سورة (الشورى) ، آية (٤٠) .

بالملال من باب تسمية الشيء باسم سببه وقال (الهروي):لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله، فتزهدوا في الرغبة إليه"[١].

ومن ذلك: حديث (أبي هريرة) – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: " ... غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله"[٢].

وفي قوله : " غفار غفر الله لها " قال الشنقيطي: "وهو من (جناس الاشتقاق) الذي يلذ على السمع لسهولته وانسجامه، وهو من الاتفاقات اللطيفة ولا يختص بالدعاء بل يأتي مثله في الخبر ومنه قوله تعالى: "وأسلمت مع سليمان"[٣].وهذا اللفظ خبر يُراد به الدعاء، ويُحتمل أن يكون خبرا على بابه[٤].

ومن ذلك: حديث (سعد بن وقاص) – رضى الله عنه – قال: " فترك رسول – صلى الله عليه وسلم – رجلا هو أعجبهم إلىّ "[٥].

قوله "إليّ" قال: "التفات من الغيبة إلى التكلم"[٦].

ومن ذلك: حديث (ابن عباس) – رضي الله عنهما– قال: " صلى النبيّ – صلى الله عليه وسلم – صلى بالمدينة سبعًا وثمانيًا، الظهر والعصر والمغرب والعشاء ... " [٧] . قوله : " سبعًا وثمانيًا الظهر والعصر والمغرب والعشاء "، قال: " أي :

١– الكوثر ٢ / ٢٦٢ .

٢– كتاب (الاستسقاء) باب (دعاء النبيّ – صلى الله عليه وسلم " اجعلها عليهم سنين كسني يوسف") – حديث رقم ١٠٠٦– ص ٢١٠.

٣– سورة (النمل) الآية (٤٤) .

٤– الكوثر ١٠ / ٣٢٦

٥– كتاب (الإيمان)، باب (إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة) – حديث رقم ٢٧ – ص ١٨.

٦– الكوثر: ٨١/٢.

٧ – كتاب (مواقيت الصلاة) ، باب (تأخير الظهر إلى العصر) – حديث رقم ٥٤٣– ص ١٢٤.

صلى المغرب والعشاء سبع ركعات جمعًا، وصلى الظهر والعصر ثمان ركعات جمعًا. فقوله: سبعًا، أي: جميعًا، وثمانيًا: أي جميعًا. كما صرح به في وقت المغرب عن (شعبة)، ففيه لف ونشر غير مرتب [١] " [٢] .

[٨] شرح الحديث بأقوال العلماء.

استعان شراح الحديث النبوي بأقوال علماء اللغة لاستجلاء معاني الألفاظ وتوسيع دائرة الدلالة.

ومن ذلك: حديث (أنس) – رضي الله عنه – قال : " عطس رجلان عند النبي– صلى الله عليه وسلم– فشمت أحدهما... " [٣]

وقوله: " فشَمَّتَ ". قال (ابن حجر):" بالمعجمة، وللسرخسي بالمهملة، ووقع في رواية أحمد عن يحي القطان عن سليمان التيمي:" فشمت أو سمت" بالشك في المعجمة أو المهملة، وهو من التشميت، قال الخليل وأبو عبيد وغيرهما: يقال بالمعجمة وبالمهملة، قال ابن الأنباري: كل داع بالخير مشمت بالمعجمة وبالمهملة، والعرب تجعل الشين والسين في اللفظ الواحد بمعنى... قال أبو عبيد: التشميت بالمعجمة اعلى وأكثر، وقال عياض: هو كذلك للأكثر من أهل العربية وفي الرواية، وقال ثعلب: الاختيار أنه بالمهملة لأنه مأخوذ من السمت: وهو القصد والطريق القويم. وأشار ابن دقيق العيد في " شرح الإلمام " إلى ترجيحه. وقال القزاز: التشميت : التبرك،..."[٤].

١– معكوس فالأول من النشر للآخر من اللف فالظهر والعصر للثماني والمغرب والعشاء للسبع.

٢– الكوثر ج ٨ / ١٨.

٣– كتاب (الأدب) باب (الحمد للعاطس) حديث رقم ٦٢٢١.

٤– الفتح ١٨/ ٦٦٣.

ومن ذلك : حديث (ميمونة) – رضي الله عنها– قالت : وضعت للنبي – صلى الله عليه وسلم ماءً للغسل ... فغسل مذاكيره ... [١] .

وقوله "مذاكيره ". قال الشنقيطي:" جمع ذكر على غير قياس، وقيل واحده مذكار، وكأنهم فرقوا بين العضو وبين خلاف الأنثى، قال الأخفش: هو من الجمع الذي لا واحد له، وقيل: واحده مذكار. وقال ابن خروف: إنما جمعه مع أنه ليس في الجسد إلا واحد، بالنظر إلى ما يتصل به، وأطلق على الكل اسمه . فكأنه جعل كل جزء من المجموع كالذكر في حكم الغسل. " [٢].

ومن ذلك: حديث (أبي هريرة) – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال : " والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ... ثم أخالف إلى رجال فَأُحَرِّقَ عليهم بيوتهم ، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عَرْقا سمينا أو مِرماتين حَسنَتَين لشهد العشاء[٣].

وقوله: " أنه يجد عرقا "، قال الشنقيطي: " أي بفتح المهملة وسكون الراء بعدها قاف. قال الأزهري: العَرْق بالفتح واحد العُراق، بالضم، وهي العظام التي يؤخذ منها هبر اللحم، ويبقى عليها لحم رقيق فيكسر ويطبخ ويؤكل ما على العظام من لحم دقيق، ويتشمس العظام، يقال: عرقت العظم واعترقته وتعرقته إذا أخذت اللحم منه نهشا. وقال الأصمعي: العَرْق بسكون الراء قطعة لحم، ونقل جمع العَررْق على العِراق بكسر العين، وهو أقيس. قال الخليل: العِراق العظم بلا لحم، وإن كان عليه لحم فهو عَرْق[٤].

١– كتاب (الغسل) باب (الغُسل مرة واحدة) – حديث رقم ٢٥٧ – ص ٦٨ .

٢– الفتح ٢/ ٤٢.

٣– كتاب (الأذان) باب (وجوب صلاة الجماعة) – حديث رقم ٦٤٤– ص ١٤٢.

٤– الكوثر ٨ / ٣٥٣.

ومن ذلك: باب (التهجد بالليل وقوله عزّ وجل:" ومن الليل فتهجد به نافلة لك" [1] وقوله: " فتهجد به ". قال: " وفي المجاز لأبي عبيدة قوله: " فتهجد به، أي اسهر بصلاتك " وتفسير التهجد بالسهر معروف في اللغة، وهو من الأضداد، يقال : تَهجَّد إذا سهر، وتهجد إذا نام، قاله الجوهري وغيره، ومنهم مَنْ فرّق بينهما، فقال: هَجدت نمت، وتهجدت سهرت، فعلى هذا أصل الهجود النوم، ومعنى تهجدت طرحت عني النوم. وقال الطبري: التهجد السهر بعد نومه، ثم ساقه عن جماعة من السلف. وقال ابن فارس: المتهجد: المصلي ليلا. وقال كُرَاع: التهجد: صلاة الليل خاصة"[٢].

[٩] شرح الحديث بالاستعانة بالتاريخ:

من الأدوات التي استعان بها شراح الحديث النبوي في شرح الحديث النبوي التاريخ؛ لأن التاريخ أداة فاعلة في شرح الحديث.

ومن ذلك: حديث(أنس) رضى الله عنه – قال: " لأحدثنكم حديثًا لا يحدثكم أحد بعدي: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: " من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ، ... "[٣].

قال الشنقيطي: " وفي رواية (للمصنف) (لا يحدثكم به غيري) ولـ (أبي عوانة) (لا يحدثكم أحد سمعه من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعدي)، وعرفَ (أنس) أنه لم يبق أحد سمعه من رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – غيره، لأنه كان آخر من مات من أهل (البصرة)، وكان خطابه بذلك لأهلها، أو كان عاما، وكان تحديثه بذلك في آخر عمره لأنه لم يبق بعده من الصحابة من ثبت

١– الإسراء ٧٩.

٢– الكوثر ١١/ ٥.

٣– كتاب (العلم) باب (رفع العلم وظهور الجهل) – حديث رقم ٨١ – ص ٣٣.

سماعه من النبيّ صلى الله عليه وسلم، إلا النادر، ممن لم يكن هذا المتن في مرويه"(١).

ومن ذلك: حديث(أبي سفيان) "من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى ، ... "(٢).

وقوله : " من محمد بن عبد الله ورسوله " قال الشنقيطي: " وذكر (المدائني) أن القارئ لما قرأ من (محمد) رسول الله غضب أخو(هرقل)، واجتذب الكتاب، فقال له (هرقل): مالك ؟ فقال: لأنه بدأ بنفسه، وسماك صاحب الروم، قال: إنك لضعيف الرأي أتريد أن أرمي بكتاب قبل أن أعلم ما فيه، لئن كان رسول إنه لأحق أن يبدأ بنفسه ،ولقد صدق أنا صاحب الروم، والله مالكي ومالكه" (٣).

ومن ذلك: حديث (جرير بن عبد الله) – رضي الله عنه – قال: قال المغيرة بن شعبة: " ...عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة، ... (٤).

وقوله: " والوقار والسكينة "، قال الشنقيطي: " وإنما أمرهم بما ذكر مقدمًا لتقوى الله تعالى، لأن الغالب أن وفاة الأمراء تؤدي إلى الاضطراب والفتنة، ولا سيما ما كان عليه أهل الكوفة، إذ ذاك من مخالفة ولاة الأمور ". هنا استعان بتاريخ الكوفة في الفتن والصراعات السياسية ضد الحكام." (٥)

ومن ذلك: حديث (أبي سعيد الخضري)– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم – : " ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة

١– الكوثر: ٢٧٢/٣.

٢– كتاب (بدئ الوحي) ، باب (كيف كان بدء الوحي ...) – حديث رقم ٧– ص ١١.

٣ – الكوثر: ٣٤٢/١.

٤– كتاب (الإيمان)، باب (قول النبي– صلى الله عليه وسلم – : " الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " وقوله تعالى : (إذا نصحو لله ورسوله) – حديث رقم ٥٨ – ٢٥.

٥ – الكوثر ٤٥٣/٢.

ويدعونه إلى النار"[١]. قال الشنقيطي: "وأما قول (المهلب) إن الضمير في (يدعوهم) يعود على الخوارج، لأنهم هم الذين بعث إليهم عليٌّ عمارًا يدعوهم إلى الجماعة، فباطل، لأن الخوارج إنما خرجوا على عليّ بعد قتل عمار، إذ لا خلاف أن ابتداء أمرهم كان عقب التحكيم، وكان التحكيم عقب انتهاء القتال بصفين، وكان قتل عمار قبل ذلك قطعًا بصفين، فكيف يبعثه إليهم عليّ بعد موته، والذين بعث إليهم عليّ عمارًا، إنما هم أهل الكوفة، بعثه يستنفرهم على قتال عائشة ومن معها قبل وقعة الجمل[٢].

[١٠] شرح الحديث بشعر العرب:

الشعر من الأدوات التي استعان بها شراح الحديث في شرح الأحاديث النبويات، والكشف عن معاني ألفاظها. الشعر بالنسبة للعرب وسيلة للتعبيرعن جوانب حياتهم المختلفة، وهو السجل لتاريخهم وأمجادهم، والواصف لمعاشهم والمخبر عن أحوالهم، الحاوي لألفاظهم والمبين للهجاتهم، الصائن للغتهم وتعبيراتهم، فهو ديوانهم.

يقول أبو حاتم الرازي: " الشعر ديوان العرب، ثم إن للغة العرب ديوانا ليس لسائر لغات الأمم، هو الشعر الذي قيدوا به المعاني الغريبة والألفاظ الشاردة؛ فإذا أحْوجوا إلى معرفة معنى حرف مستصعب ولفظ نادر التمسوه في الشعر الذي هو ديوان لهم، متفق عليه، مَرْضي بحُكمه، مجتمع على صحة معانيه وإحكام أصوله، محتج به على ما اخْتُلِفَ فيه من معاني الألفاظ وأصول اللغة"[٣].

١- كتاب (الصلاة)، باب (التعاون في بناء المسجد) – حديث رقم ٤٤٧– ص ١٠٧.

٢- الكوثر ٧/ ١٨٥.

٣- كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية – لأبي حاتم الرازي ص ٩٣.

ولنا في الصحابة الكرام والتابعين الأطهار القدوة والمثل في الاستعانة بالشعر في تفسير آيات القرآن الكريم، وكان (ابن عباس) من أروى الصحابة شعرا، استعان به في مناظرته لنافع بن الأزرق.

قال ابن عباس: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب روى علي بن زيد بن جدعان قال: سمعت سعيد بن جبير ويوسف بن مهران يقولان: سمعنا ابن عباس يُسأل عن الشيء من القرآن فيقول فيه كذا وكذا، أما سمعتم قول الشاعر يقول فيه كذا وكذا[١].

روى عكرمة عن ابن عباس قال: " إذا أعيتكم العربية في القرآن فالتمسوها في الشعر فإنه ديوان العرب"[٢].

روى عكرمة عن ابن عباس: وسأله رجل عن قول الله تعالى: "وثيابك فطهر"[٣] قال: لا تلبس ثيابك على غدرة، وتمثل بقول غَيلان الثقفي:

فإني بحمد الله لا ثوب غادر ∴ لبست ولا من سوأة أتقنع[٤]

وقال ابن عباس: في قوله تعالى: " فهم في أمر مريج " [٥] قال: مختلط. ألم تسمع إلى قول الشاعر:

فجالت والتمست به حشاها ∴ فخر كأنه خوط مريج[٦]

١- الوقف والابتداء ص ٦٢.

٢- نفسه ص ١٠١ .

٣- المدثر ٤

٤- الوقف والابتداء ص ٦٣.

٥- ق ٥.

٦- الوقف والابتداء ص٦٤.

وما استعان به ابن عباس في مناظرة نافع بن الأزرق [١]، سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله تعالى : " لا تأخذه سنة ولا نوم " [٢] ما السِّنة ؟ قال النعاس . قال زهير بن أبي سلمى :

لا سنة في طول الدهر تأخذه ∴ ولا ينام ولا في أمره فند[٣]

روي عن عكرمة في قوله تعالى " ذواتا أفنان " [٤] قال: ذواتا ظل وأغصان، ألم تسمع إلى قول الشاعر :

ما هاج شوقك من هديل حمامة ∴ تدعو على فنن الغصون حماما[٥]

عن علقمة في قوله عز وجل " ختامه مسك " [٦] قال: خَلْطُه، ألم تر إلى المرأة من نسائكم تقول للطيب خَلْطُه مِسك، خَلْطه كذا وكذا [٧] .

روى مجاهد عن ابن عباس: كنت لا أدري ما " فاطر السماوات والأرض" [٨] حتى أتاني أعربيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها (أي) أنا ابتدأتها[٩]. وقال السدي في قوله تعالى: "لذي حجر"[١٠] قال : لذي لبّ. قال الحارث بن منبه الجني من مذحج لابنه في الجاهلية :

---

١ – نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري ت ٦٤هـ ٦٨٤م رأس الأزارقة من الخوارج وإليه نسبتهم كان أمير قومه و فقيههم من أهل البصرة اشتهر بمناظرة ابن عباس .ا

٢– البقرة ٢٥٥

٣– الوقف والابتداء ص ٧٨.

٤– الرحمن ٤٨

٥– الوقف والابتداء ٦٥.

٦– المطففين ٢٦.

٧– الوقف والابتداء ص٧٠.

٨– يوسف ١٠١

٩– الوقف والابتداء ص ٧٢.

١٠– الفجر ٥.

وكيف رجائي أن تئوب وإنما يرجى من الفتيان من كان ذا حجر[١].

قال (أبو بكر بن الأنباري): وهذا كثير في الحديث عن الصحابة والتابعين ... ، وإنما دعانا إلى ذكر هذا أن جماعة لا علم لهم بحديث رسول، صلى الله عليه وسلم – ولا معرفة لهم بلغة العرب أنكروا على النحويين احتجاجهم على القرآن بالشعر[٢].

وقال أبو حاتم الرازي: " وقد احتج العلماء من الصحابة والتابعين. ومن بعدهم من الفقهاء في غريب القرآن والحديث بالشعر، وقد رُوى ذلك عنهم. روى أبو عبيدة بإسناد له عن عكرمة قال: رأيت ابن عباس وعنده نافع بن الأزرق، وهو يسأله ويطلب منه الاحتجاج باللغة"[٣]. فسأله عن قول الله عز وجل: "والليل وما وسق"[٤] فقال: وما جَمَعَ. ألم تسمع : مستوسقات لو يجدن سائقا[٥].

قال: وسأله عن قوله: " قد جعل ربك تحتك سريا"[٦]. فقال : هو الجدول : فسأله عن الشاهد. فأنشده: سَلْما ترى الدالج منه أزورا :. إذا يمج في السري هرهر[٧].

١- الوقف والابتداء ٧٥.

٢- إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٩.

٣- يروى أن نافعا قال لنجدة بن عويمر الحنفي : قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به . فلما أتياه قال نافع : يا ابن عباس إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله ، فتفسر لنا وتأتينا بمصادقه من كلام العرب – كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية ص (١٣٢) – لأبي حاتم الرازي ت ٣٢٢هـ – تحقيق حسين فيض الله الهمداني – ط١ مركز الدراسات والبحوث اليمني – اليمن هـ١٤١هـ – ١٩٩٤م .

٤- الانشقاق ١٧

٥- البيت للعجاج أبي الشعثاء عبد الله بن رؤبة التميمي ، وصدره : أن لنا قلائصا حقائق . الزينة لأبي حاتم الرازي

٦- مريم ٢٤.

٧- كتاب الزينة ص ١٣١.

ومن ذلك: حديث (عبد الله بن عمرو) – رضى الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه يده ... " [١] .

وقوله: " من لسانه ويده "، قال الشنقيطي: " هو من جوامع كلمه– عليه الصلاة و السلام، وعبر باللسان دون القول ليدخل في ذلك من أخرج لسانه استهزاء بصاحبه

وقدمه على اليد لأن إيذاءه أكثر وقوعا وأشد نكاية، ولله در القائل :

جراحات السنان لها التئام ∴ ولا يلتئم ما جرح اللسان[٢]

ومن ذلك: حديث (النعمان بن بشير) يقول: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: " الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ..."[٣].

وقوله: " استبرأ لدينه وعرضه ". قال الشنقيطي: " والعرض– بكسر العين – : النفس وجانب الرجل الذي يصونه من نفسه وحسبه أن يُنتقص ويثلب ... وبفتح العين عَرض الأعمال يوم القيامة، وضد الطول، ومفرد العروض. وبالضم الجانب والناحية، يُقال في عُرض الحائط، أي: في جانبه وناحيته. ونظم بعضهم هذه المعاني فقال :

العَرض ضد الطول والعَرض غدا ∴ ومفرد العَروض فتحُهُ بدا

والعرض بالكسر بمعنى النفس ∴ والضم للجانب دون لبس[٤]

١– كتاب (الإيمان)، باب (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) – حديث رقم ١٠ – ص ١٥.

٢– الكوثر: ٤٥١/١.

٣– كتاب (الإيمان) باب (فضل من استبرأ لدينه)– حديث رقم ٥٢ – ص ٢٤ .

٤– الكوثر: ٣٧٩/٢ .

ومن ذلك: باب (رفع العلم وظهور الجهل). وقال (ربيعة): " لا ينبغي لأحد عنده شيء من العلم أن يضيّع نفسه "، قال: " وقيل: مراده تعظيم العلم، وتوقيره، فلا يهين نفسه، بأن يجعله عرضًا للدنيا، كما قال القائل :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ∴ ولو عظّموه في النفوس لعظّما

ولكن أهانوه فهان ودنســـوا ∴ مُحَيّاه بالأطماع حتى تثلمــا[١]

الخاتمة:

في اهتمام العلماء بمتن الحديث من شرح وتفسير رد على من يدعي اهتمام العلماء بالسند دون المتن، وقد حاز متن الحديث النبوي عند شراحه عناية كبيرة؛ ولذلك تنوعت أدواتهم بغية الكشف عن معانيه، للوصول إلى مراد الرسول – صلى الله عليه وسلم – في قوله، كان في القمة منها الوحي، فمن أفضل طرق تفسير الوحي الوحي نفسه، ومن بعده تفسير الصحابة والتابعين، والسيرة النبوية أداة فاعلة في شرح الحديث ففيها التفصيل والتوضيح، وذكر قصة الحديث تعين على فهمه، واللغة العربية وعلومها مفتاح من مفاتيح فهم الحديث النبوي.

[١١] شرح الحديث بالأقوال المشهورة:

وهي أقوال اشتهرت على ألسنة الناس، وأدرك الناس معانيها ومراميها.

ومن ذلك: (عائشة)– رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:" ولكن من نوقش الحساب يَهلِك"[٢].

وقوله: "ولكن من نوقش الحساب" قال:" بالقاف المعجمة، من المناقشة، وأصلها الاستخراج، ومنه نقش الشوكة، إذا أخرجها، والمراد بالمناقشة الاستقصاء في

١– الكوثر: ٢٦٦/٣.

(٢) كتاب (العلم)، باب (من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه).

المحاسبة، والمطالبة بالجليل والحقير، وترك المسامحة، يقال: استنقشت منه حقي، أي: استقصيته"[١].

ومن ذلك: حديث (حذيفة) –رضي الله عنه– قال: "فقام كما يقوم أحدكم فبال فانتبذت منه"[٢] وقوله:" فانتبذت " قال:" بنون فمثناة فوقية فموحدة فمعجمة، أي: ذهبت ناحية، يقال: جلس فلان نبذة بفتح النون وضمها، أي: ناحية"[٣].

ومن ذلك: حديث (ابن عمر) رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: " بني الإسلام على خمس... وإيتاء الزكاة "[٤]. وقوله: "وإيتاء الزكاة" قال: "والزكاة لغة: الطهارة والنماء، واللياقة، وهذا الأمر لا يزكو بفلان، أي: لا يليق به، وزكا الرجل يزكو إذا تنعم وكان في خصب"[٥].

ومن ذلك: حديث (أسماء بنت أبي بكر) –رضي الله عنهما– قالت: " من فتنة المسيح الدجال"[٦].

وقوله: "من فتنة المسيح الدجال"، قال: "و(الدجَّال) على وزن (فعَّال) من الدجل، وهو الكذب والتمويه، وخلط الحق بالباطل، وهو كذّاب مَمَوِّه خلَّاط. وقيل: سمي بذلك لأنه يغطي الأرض بالجمع الكثير، مثل دجلة تغطي الأرض بمائها، والدجل التغطية. يقال دَجَل فلان الحق بباطله، أي: غطاه "[٧].

---

(١) الكوثر ٣ / ٤٠٥.

(٢) كتاب (الوضوء)، باب (البول عند صاحبه والتستر بالحائط).

(٣) الكوثر ٥/ ٢٠٤.

(٤) كتاب (الإيمان)، باب (دعاكم إيمانكم...).

(٥) الكوثر ١ / ٤١٣.

(٦) كتاب (العلم)، باب (من أجاب الفُتيا بإشارة اليد والرأس).

(٧) الكوثر ٣ / ٢٩٨.

ومن ذلك: حديث (ابن عباس) – رضي الله عنهما. قال:" فانسلّ الحوت من المكتل" فاتخذ سبيله في البحر سربا"[١] قال: أي مذهبا ومسلكا يسرب فيه، ومنه " سارب بالنهار"[٢] أي: سالك في سربه، أي: مذهبه، ومنه أصبح فلان آمنا في سربه، ومنه انسرب فلان، إذا مضى[٣].

(١) الكهف ٦١.

(٢) الرعد ١٠.

(٣) الكوثر ٤ / ٨٨.

النتائج:

- من أفضل طرق تفسير الوحي الوحي نفسه.
- قلة أو كثرة أدوات شرح الحديث تتوقف على ثقافة الشارح .
- أن الأدوات الإجرائية التي يستخدمها الشارح تنبني بالضرورة على مفاهيم معرفية، تعود إلى أبعاد فكرية وعقائدية.
- اللغة العربية وعلومها أداة فاعلة في شرح الحديث النبوي.
- هناك تفاوت بين شراح الحديث النبوي في الاستعانة بأدوات شرح الحديث.
- بعض شراح الحديث النبوي تميّز في بعض الأدوات دون غيرها.
- تتوقف قوة الشرح على الصناعة الحديثية للشارح.

المصادر والمراجع

ابن الأثير: أبو الحسن على المعروف بابن الأثير ت ٦٣٠هـ
الكامل في التاريخ – تحقيق : أبى الفداء عبدالله القاضي– ط١– دار الكتب العلمية– بيروت – ١٩٨٧م .

ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات بن محمد الجزري بن الأثير ت٦٠٦هـ
النهاية في غريب الحديث والأثر– ط١ دار ابن الجوزي القاهرة: ١٤٤٢هـ

أحمد عمر هاشم:
قواعد أصول الحديث– المعهد العالي للدراسات الإسلامية– القاهرة ٢٠٠٦م

أسامة عبد الله الخياط:
مختلف الحديث وموقف النقاد منه، مطابع الصفا مكة المكرمة ١٤٠٦هـ

ابن الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ٢٧١– ٣٢٨هـ
إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان – ط مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩١هـ=١٩٧١م .

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦
الجامع الصحيح – ط دار الاعتصام– القاهرة ٢٠١١ م.

البرماوي: أبو عبد الله محمد بن موسي النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (ت: ٨٣١هـ)
اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح ط١– دار النوادر بيروت – ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .

البغوي : الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦ هـ
شرح السنة– تحقيق شعيب الأرنؤوط – ط٢ المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠٣هـ .

الجرجاني : علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ت ٨١٦هـ – ١٤١٣م

مُعجم التعريفات – تحقيق : محمد صديق المنشاوي – ط دار الفضيلة – القاهرة – دت .

جمعة فتحي عبد الحليم

روايات الجامع الصحيح ونسخه – ط١ دار الفلاح – بيروت ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .

أبو حاتم الرازي: أبو محمد بن عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازي ت ٣٢٧هـ

كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية – ط١– مركز الدراسات والبحوث اليمني ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م – صنعاء .

ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن على بن محمد العسقلاني المصري ت ٨٥٢هـ

فتح الباري شرح صحيح البخاري– تحقيق شعيب الأرنؤوط – ط١– دار الرسالة– بيروت ٢٠١٣م.

الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ت ٣٨٨هـ

غريب الحديث – تحقيق : عبد الكريم إبراهيم العزباوي – ط دار الفكر – دمشق ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادي ت ٤٦٣هـ

تاريخ بغداد – تحقيق : بشار عواد معروف – ط١– دار الغرب الإسلامي– بيروت –١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت٧٤٨ هـ

سير أعلام النبلاء– ترتيب : حسّان عبد المنان– ط بيت الأفكار الدولية – لبنان ٢٠٠٤م .

الرامهرمزي : القاضي الحسن بن الحسين بن عبد الرحمن الرامهرمزي ت ٣٦٠ هـ

المحدث الفاصل بين الراوي والواعي – تحقيق : الدكتور محمد عجاج الخطيب ط٢ دار الفكر – بيروت ١٤٠٤ هـ .

الزركشي: بدر الدين محمد بن بهادر الشافعي (٧٤٥– ٧٩٤ هـ)

البحر المحيط، ت: عبد الستار أبو غدة، وزارة الأوقاف– الكويت – دت.

الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ت ٥٣٨هـ
تفسير الكشاف – ط٣ دار المعرفة – بيروت ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .

السيوطي : جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ .
تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي – تحقيق : أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي – ط٢ – بيروت– رجب ١٤١٥هـ .

صبحى الصالح
علوم الحديث ومصطلحه– ط١٥ دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٤م.

الطيبي :الحسين بن عبد الله الطيبي ت ٧٤٣ هـ
الخلاصة في أصول الحديث– ط١ عالم الكتب – بيروت ١٤٠٥ هـ .

ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد البر ت٤٦٣هـ
جامع بيان العلم وفضله – تحقيق : أبي الأشبال الزهيري – ط١ دار ابن الجوزي – السعودية ١٤١٤هـ ت ١٩٩٤م .

عبد الفتاح أبو غدة ت ١٤١٧هـ
لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث – ط١– دار عالم الكتب – القاهرة ١٤٠٤هـ.

العيني : بدر الدين أبو محمد محمود العيني ت ٨٥٥ هـ
عمدة القاري شرح صحيح البخاري – ضبطه وصححه – عبد الله محمود محمد عمر– ط١ دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان ٢٠٠١م.

القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ت ٦٧١هـ
الجامع لأحكام القرآن – تحقيق : عبد الله عبد المحسن التريكي – الرسالة – الأردن – دت .

القسطلاني : أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني ت ٩٢٣ هـ
إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري– ط٧– المطبعة الكبرى الأميرية

بولاق، مصر ١٣٢٣هـ.

الكرماني : محمد بن يوسف بن على شمس الدين الكرماني ت٧٨٦هـ
الكواكب الدراري بشرح صحيح البخاري- تحقيق :محمد محمد عبد اللطيف- المطبعة البهية المصرية القاهرة ١٩٣٩م.

الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ت ١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م
الكليات – ط٢- مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

مصطفى السباعي
السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي- ط٢ المكتب الإسلامي – دمشق ١٣٩٨ هـ

ابن الملقن: سراج الدين أبو حفص عمر بن على (ت: ٨٠٤هـ)
التوضيح لشرح الجامع الصحيح – تحقيق : دار الفلاح – وزارة الأوقاف – قطر ٢٠٠٨ م .

نور الدين عتر
منهج النقد في علوم الحديث- تر ط٣ – دار الفكر – دمشق ١٤٠٦هـ.

النووي: أبو زكريا يحي بن شرف النووي ت ٦٧٦ هـ
التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير- تعليق : صلاح محمد عويضة ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٧ هـ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث :.....	٣٣١
المقدمة :.....	٣٣٣
التمهيد :.....	٣٣٤
[١] شرح الحديث بالقرآن :.....	٣٣٤
[٢] شرح الحديث بالحديث :.....	٣٣٩
[٣] شرح الحديث بالسيرة النبوية :.....	٣٤٣
[٤] شرح الحديث بذكر قصته (أسباب الحديث) :.....	٣٤٥
[٥] شرح الحديث بأقوال الصحابة :.....	٣٥١
[٦] شرح الحديث بأقوال التابعين :.....	٣٥٣
[٧] شرح الحديث بلغة العرب :.....	٣٥٤
[٨] شرح الحديث بأقوال العلماء :.....	٣٧١
[٩] شرح الحديث بالاستعانة بالتاريخ :.....	٣٧٣
[١٠] شرح الحديث بشعر العرب :.....	٣٧٥
[١١] شرح الحديث بالأقوال المشهورة :.....	٣٨٠
النتائج :.....	٣٨٣
فهرس المصادر والمراجع :.....	٣٨٤
فهرس الموضوعات :.....	٣٨٨